يـــا عمـــــال العالـــــم اتحـــدوا!

# الاتحاد

الجـــــــــــــــمعة 27 آذار 2026 - الثمـــن 4 ش.ج. (يشـــمل ض.ق.م)
تابعونـــــا أيضـــا علـــى الموقـــــع www.alittihad44.com

يوم الأرض 50

# دربُـــــنا وعهـــدُنا

## عدد خاص في الذكرى الـ50 ليوم الأرض الخالد

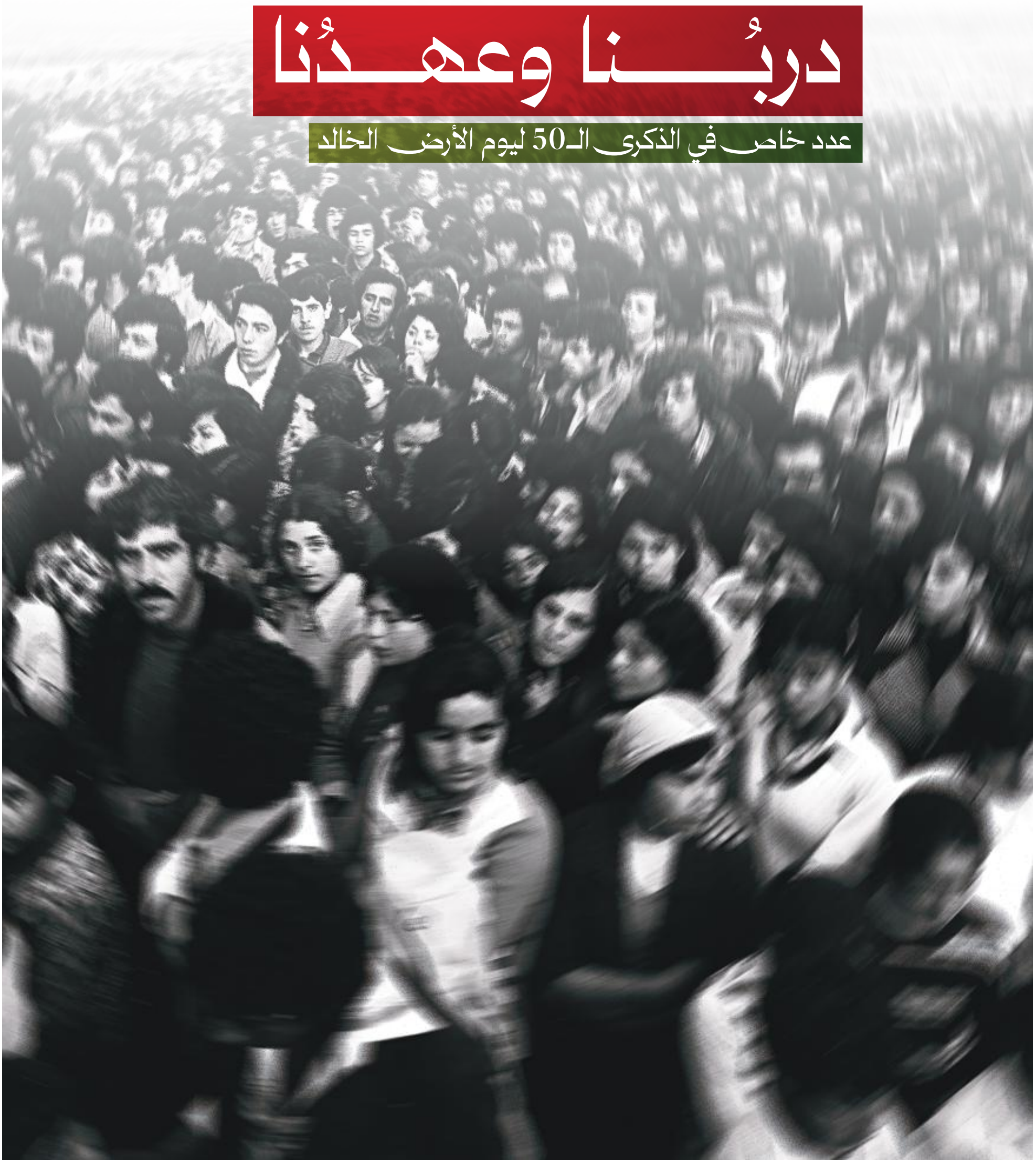

بيان الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة والحزب الشيوعي في الذكرى الـ ٥٠ ليوم الأرض الخالد:

# تحديات المرحلة تحتم التشبث بقيم يوم الأرض لمواجهة العنصرية والفاشية والاحتلال والحروب الكارثية!

حيفا – الاتحاد – أصدرت الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة والحزب الشيوعي بيانًا خاصًا في الذكرى الـ ٥٠ ليوم الأرض الخالد، هذا نصه:

في الذكرى الخمسين ليوم الأرض الخالد، نقف بإجلال أمام ذكرى الشهداء الذين ارتقوا دفاعًا عن الأرض والكرامة والوجود، وننحني أمام الجماهير التي صنعت في الثلاثين من آذار ١٩٧٦ محطة وطنية مفصلية في تاريخ الفلسطينيين الباقين في وطنهم، ورسّخت يوم الأرض وقيمه في وعيهم السياسي والكفاحي.

## يوم الأرض – يوم الانتقال إلى موقع الفعل السياسي الواعي والمنظم

لقد كان يوم الأرض أكثر من احتجاج على مصادرة الأرض. لقد شكّل لحظة تاريخية توجت نضال جماهيرنا وعززت من جاهزيتها الكفاحية لتتقدم بخطوة نوعية من ردة الفعل على سياسات القهر والتمييز نحو موقع الفعل السياسي الواعي والمنظم، وأكدت قدرتها على بناء الوحدة الكفاحية الحقة وفرض حضورها وتحويل معركة الأرض إلى معركة شعب بأسره يدافع عن مستقبله في وطنه. ولم يكن ذلك الحدث انفجارًا عفويًا، بل تتويجًا لمسار طويل من العمل الشعبي والسياسي والتنظيمي، ساهمت فيه قوى وطنية وتقدمية عديدة، وفي مركزها الحزب الشيوعي، الذي بادر مع سائر القوى الوطنية إلى بناء الأطر الكفاحية وتوحيد الطاقات الجماهيرية في مواجهة مشاريع المصادرة والتهويد والتمييز العنصري. ومن هذا المسار ولدت لجنة الدفاع عن الأراضي، واتسعت دوائر النضال الشعبي، وتكرست وحدة الصف الكفاحية.

وقد شكّل يوم الأرض نقطة انعطاف في وعي جماهيرنا لذاتها بوصفها جزءًا حيًا وأصيلًا من الشعب العربي الفلسطيني، وبوصفها أقلية قومية أصلانية في وطنها، تخوض نضالها من أجل البقاء والتجذر والمساواة والعدالة. ومن هنا، فإن المعركة على الأرض لم تكن يومًا معركة مطلبية ضيقة، بل معركة على الوجود والهوية والحقوق والمستقبل.

وفي هذه الذكرى، نستعيد الحقيقة التي أثبتها يوم الأرض: أن الجماهير حين تُدعى إلى الفعل السياسي وتُبنى وحدتها على أسس وطنية وديمقراطية وتقدمية، تصبح قادرة على صنع التاريخ. وقد واجهت المؤسسة الحاكمة يومها، كما تواجه اليوم، جماهير عربية منظمة تحمل مشروعًا سياسيًا نقيضًا لمشروعها: مشروعًا يؤكد أن جماهيرنا ليست كتلًا صامتة ولا صماء ولا طوائف متفرقة، بل جماعة وطنية لها حقها في الأرض والوطن والمساواة، ولها دورها في النضال ضد الاحتلال والعنصرية والحروب والاستغلال.

## خصوصية الذكرى الـ ٥٠ تؤكد التمسك بقيم الثلاثين من آذار

وتحل الذكرى هذا العام في واحدة من أخطر المراحل التي مرّت بها جماهيرنا، وشعبنا الفلسطيني عمومًا، منذ عقود. فالحصار وحرب الإبادة الجماعية في غزة والتطهير العرقي في الضفة الغربية وتوسيع الاستيطان وعنف قطعانه فيها، واستشراس الفاشية والعنصرية في إسرائيل، واستفحال القمع والملاحقة وسياسات الهدم والمصادرة –عموما وفي النقب تحديدا– ومحاولات إسكات أي صوت مناهض للحرب والاحتلال، كلها تؤكد أن القضايا التي فجّرت يوم الأرض لم تنته، بل عادت بأشكال أشد شراسة. فالسلطة ماضية بمشاريعها لفرض الترهيب والعزلة السياسية على الجماهير العربية، بل وإغراقها بدم أبنائها الذي تستبيحه عصابات الإجرام المنظم التي ما كانت لتصل ما وصلته من عربدة وسيطرة على مفاصل هامة في حياة المجتمع العربي لولا سماح المؤسسة بذلك.

لكن يوم الأرض يعلّمنا أن الرد لا يكون إلا بالمزيد من التنظيم الشعبي والوحدة والتمسك بالفعل السياسي والجماهيري، وبالثوابت الوطنية والديمقراطية.

إن الحزب الشيوعي الإسرائيلي والجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة، وهما يستحضران هذه الذكرى المجيدة، يجدّدان العهد بأن يبقيا أوفياء للرؤية التقدمية التي تربط النضال القومي بالاجتماعي والطبقي، وقضية المساواة الكاملة للعرب الفلسطينيين في إسرائيل بإنهاء الاحتلال وإحقاق الحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني.

إن وفاءنا ليوم الأرض يكون بتحويل ذكراه إلى قوة دفع سياسية وتنظيمية وأخلاقية في معارك الحاضر والمستقبل: بحماية ما تبقى من أرضنا، والتمسك بحقنا في السكن والتوسع والتجذر، ومواجهة محاولات التفتيت والتدجين، ومواصلة بناء مؤسساتنا الشعبية والتمثيلية والكفاحية، وإعادة الاعتبار لقيمة العمل الجماعي المنظم ودور الجماهير في فرض التغيير.

## نحو طرح بديل حقيقي للمجتمع الاسرائيلي عموما

ومن المهم أن نستحضر في هذه الذكرى أن الإعداد ليوم الأرض جاء في سياق طرح بديل تقدمي وديمقراطي أمام المجتمع الإسرائيلي، باسم الأقلية العربية، بديل يناقض الإجماع القومي الصهيوني، ويؤكد أن الجماهير العربية مؤهلة للتدخل والتأثير في وجهة هذا المجتمع، وقادرة على المساهمة في صياغة بديل يقود إلى السلام العادل والاعتراف بالأقلية القومية العربية كأقلية أصلانية صاحبة حق غير مشروط بالمساواة القومية والمدنية التامة وشريك لا يمكن تجاوزه وتجاهله ببناء مستقبل أفضل لهذه البلاد – وهو البديل الذي طرحه الحزب الشيوعي، ما قبل يوم الأرض وتعزز بعده وبالأخص منذ تأسيسه للجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة، التي ولدت من رحم يوم الأرض كأداة كفاحية ذات بعد جماهيري واسع.

ولذلك لم يكن صدفة أن تنفلت وثيقة كيننغ بعد يوم الأرض بشكل فاشي على الحزب الشيوعي، ولم يكن صدفة أن تصب حكومة الاضطهاد القومي جام غضبها وأبواق تحريضها على الحزب الشيوعي في معركة يوم الأرض وفي أعقابها، إذ أدركت أن يوم الأرض عبّر عن استراتيجية سياسية نجحت في تحويل رؤية حزب إلى رؤية شعب في قلب المعركة. فقد جسّدت تلك المحطة جدلية التفاعل بين نضال جماهيرنا من أجل حقوقها القومية والمدنية، وبين نضالها من أجل التأثير في وجهة المجتمع الإسرائيلي نفسه وتعميق التناقض بين قيم الديمقراطية والعدالة والمساواة من جهة، والفكر الصهيوني وممارساته الإقصائية والعنصرية من جهة أخرى.

ومن هنا، فإن المعارك العادلة التي تخوضها جماهيرنا العربية داخل إسرائيل، لم تكن يومًا معركة تخصها وحدها في نطاق ضيق، بل هي جزء أساسي من المعركة على الديمقراطية والمساواة والعدالة الاجتماعية في إسرائيل كلها – فلا يمكن لأي تحول ديمقراطي وتقدمي حقيقي أن يتحقق من دون وضع حد للعنصرية والاحتلال، خاصة في ظل الانفلات الفاشي المتصاعد،الذي يؤكد من جديد أن النضال ضد التمييز القومي لا ينفصل عن النضال ضد الاحتلال والحرب والاستيطان.

ومن هنا فإننا نتوجه إلى قوى السلام والديمقراطية والتقدم، العربية واليهودية، لنؤكد ضرورة أن يشكل يوم الأرض علامة فارقة في معركة أوسع ضد بنية الاضطهاد القومي، وضد النظام القائم على التمييز والاستعلاء والحرب. ومن هنا، فإن بناء شراكة نضالية عربية–يهودية ديمقراطية، يبقى جزءًا أصيلًا من الرؤية التي حملها يوم الأرض ومن المشروع السياسي الذي نتمسك به.

## نضال الشعب الفلسطيني جزء من المعركة ضد «النظام العالمي الجديد»

وفي هذا السياق، تكتسب دروس يوم الأرض أهمية إضافية في مواجهة الحروب العدوانية التي تواصلها المؤسسة الإسرائيلية الحاكمة في المنطقة، بما في ذلك عدوانها على لبنان وإيران وفي كشف طابعها التدميري والاستعماري، وطرح بديل سياسي وأخلاقي يقوم على وقف العدوان، ورفض منطق القوة العسكرية، والدفع نحو حلول تستند إلى العدالة والاعتراف بالحقوق وإنهاء الاحتلال.

إن الحروب التي تشنها الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة، من غزة إلى لبنان إلى إيران، ليست منفصلة عن طبيعة النظام القائم، بل امتداد مباشر لبنية سياسية وأيديولوجية تقوم على الاحتلال والاستيطان والعنصرية ومنطق الحسم بالقوة. ومن هنا، فإن النضال ضد الحرب هو جزء عضوي من نضال جماهيرنا من أجل المساواة، ومن أجل تغيير طابع النظام، ومن أجل الدفاع عن مصالحها ومصالح جميع القوى المتضررة من استمرار منطق الحرب والتصعيد وكسر الإجماع الصهيوني الذي يسعى إلى تحويل العدوان إلى قدر سياسي دائم.

فهذه الجماهير ما يجعلها في موقع متقدم في المعركة لطرح البديل الحقيقي ولبلورة ميزان قوى سياسي وأخلاقي يدفع نحو وقف الحرب وكبح العدوان والتصدي للتحريض القومي وفتح أفق ديمقراطي حقيقي.

ومن هنا، فإن المسؤولية الملقاة على عاتق جماهيرنا العربية، التي تملك من الوعي والتجربة التاريخية وعلى عاتق الحزب الشيوعي والجبهة وكل القوى الديمقراطية واليسارية، هي مواصلة العمل السياسي والجماهيري من أجل بناء جبهة و الحرب ويقاوم الفاشية والعنصرية، ويرى في السلام العادل وإنهاء الاحتلال مدخلًا ضروريًا لمستقبل مختلف لجميع شعوب المنطقة.

# حين تلتقي قيم العدالة الاجتماعية مع الوطنية

عادل عامر

كنت في ذلك اليوم قد بلغت من العمر ١٣ عاما ونيف وكنت في الصف السابع، بالنسبة لي كان يوما دراسيا عاديا. في البيت لم يطلبوا مني عدم الذهاب للمدرسة ولم يحذروني من أن الاجواء متوترة او ان هناك حدثا غير اعتيادي.

ولكن

بيتنا كان يقع في مركز القرية او كما كنا نسميها ساحة « البلد " قبل ان يصبح اسمها لاحقا «المدرحوف»، كانت هذه الساحة مركز الحياة لقريتنا الوادعة. ففي كل زاوية منها مقهى له زبائنه وزواره ومريدوه. تبدأ الحياة تعج في «البلد» بعد الساعة الرابعة عصرا، اي عندما يعود العمال من أعمالهم، يتناولون غداءهم في بيوتهم ويخرجون منها بعد ذلك مولين وجوههم نحو مركز القرية «البلد»، حيث يأخذ هذا الحيز حياة أخرى، مليئة بالضجيج والصراخ أحيانا، وبالضحك احيانا اخرى. وبالغضب احيانا اخرى. وبرائحة القهوة ودخان السجائر وبشلل من الرجال يتجمهرون حول طاولة للعب الشدة او الزهر او لاحتساء الشاي والقهوة لا غير.

كان رجال القرية يجتمعون في هذه الساحة للترويح عن أنفسهم، فيها يلتقون يتسامرون يتبادلون أطراف الحديث او يتفقون على تجارة، او صفقة ما او على زيارة ما.

وفي وسط هذه الساحة كانت شجرة كينا كبيرة جدا وطويلة جدا وعريقة جدا.

استخدامات هذه الشجرة كانت متنوعة فهي اما ان تكون لوحة اعلانات كبيرة ثابته ومجانية او ان تكون متكأ لشابين يتحدثان في شأن ما. ويقيني انه لو قيض لهذه الشجرة ان تتحدث لروت لنا اسرار كل أهلنا في ذلك الزمان وقبله فهي حافظة أسرار أمينة ومخلصة، لا تنطق ببنت شفة بتاتا، ولهذا فهي لا زالت باقية حتى يومنا هذا، ولكن كمية الاسرار خفت وتراجعت كثيرا لان شبابنا توزعت على حاراته.

هذه الساحة كانت ايضا مركزا نشطا للعمل السياسي والاجتماعي، فهي كانت ملتقى لأهل البلد من الرجال حيث أن كل نشاط سياسي، او اجتماع شعبي، او توزيع منشور او جريدة كان يتم فيها.

وللحقيقة وللتاريخ اقول انه في تلك السنوات ولسنوات طويلة كان الشيوعيون وحدهم من يقوم بهذا النشاط، حيث كانت تعقد الاجتماعات الشعبية والندوات وتوزيع المنشورات وتوزيع جريدة الاتحاد. وفي بعض الاحيان كان يأتي رفاق حركة «متسبين» ايضا.

وبسبب قرب بيتنا من هذه الساحة فانه فما ان اسمع نحنحة صوت الميكروفونات حتى أقفز وأتابع عن قرب وعن كثب وبشغف، كافة التحضيرات لهذه الاجتماعات الشعبية، وحين يبدأ المتكلمون والخطباء بإلقاء كلماتهم لم أكن افهم شيئا مما يقولون بسبب صغر سني، ولكني كنت اتابع ملامح وجوههم وأحاسيسهم ومشاعرهم ونبرات أصواتهم حين تعلو وتخفت.

وللحقيقة أقول انه في وقت لاحق وحينما بدأت بعض المصطلحات والمفاهيم تتبلور، بدأت الكثير من التساؤلات تدور في ذهني دون ان احصل على اجابات عليها وخاصة عندما كنت احضر الاجتماعات التي كان يشارك فيها متحدثون عرب ويهود.

وكان السؤال: كيف يستوي؟

كيف لعربي ويهودي ان يلتقيا في منصة واحدة

وكلاهما يشتم الحكومة؟

وقد لفت نظري، في حينه، أحد الرفاق اليهود الذي كان يخطب بحماسة منقطعة النظير وبصوت جهوري وعالي، حيث كان وجهه يحمر من شدة حماسة الخطاب وكانت شرايين رقبته تكاد تنفجر من شدة حماسته وربما غضبه، طبعا دون ان افهم شيئا مما يقول، ولكن مشاعره كانت فياضة وحقيقية.

وعرفت لاحقا ان هذا المتحدث هو الرفيق يهوشوع ايرغا، النقابي العريق والعامل العتال في أحد الموانئ، والذي كان يصب جام غضبه الطبقي على اصحاب رؤوس الاموال المستغلين لحقوق العمال وعرقهم، وعلى الصهيونية التي فجرت الحروب وسلبت الأرض، حيث كان الرفيق ايرغا امميا صادقا ومخلصا.

## الغضب الطفولي

في سنوات عمري الاولى كان غضبي منصبا على والدي بسبب ضيق الحال والفقر الذي كانا نعيشه، اسوة بالكثير من أترابي، الذين كانوا يعانون من الفقر وشظف العيش.

وسبب غضبي على والدي، لأني حملته مسؤولية هذا الفقر، وانه لا يبذل الجهد الكافي لإخراجنا من هذا الوضع وهذا الفقر. وان تقصيره هذا يحرمنا مما كنا نراه لدى البعض من أترابنا، الذين حالفهم الحظ بالوفرة والتنوع في الملبس والمأكل وغيرها من جماليات وكماليات الحياة، وأحيانا من اساسياتها.

هذا الغضب استمر لفترة لا بأس بها، دون ان أدرك ان لغضبي يجب ان يكون عنوانا اخر. وان والدي يبذل كل جهده وقوة عمله وجسده، فهو يستفيق من الرابعة صباحا هو ووالدتي. ليستعد للخروج للعمل في الخامسة صباحا في حين تكون والدتي تحضر له ما تيسر من الزوادة او «العقدة « كما كنا نسميها ويخرج لعمله أجيرا في الزراعة ويعود في الرابعة بعد العصر منهكا ومتعبا، الا انه يواصل عمله في كرم الزيتون، الذي كنا نملكه. وهكذا تستمر وتيرة يومه المثقل بالجهد، والتعب، والعطاء والتضحية.

حينها بدأت الاسئلة تدور في راسي، إذا كان والدي نشيطا لا يقصر في اعالتنا ويبذل كل ما لديه من طاقة ونشاط، فمن هو المسؤول اذن، عن هذا الفقر وهذا العوز؟

لماذا نستمر في العيش في دوّامة الفقر المفرغة والمحكمة؟

لماذا لا نخرج منها؟

اين الخلل؟

من المسؤول؟

كيف نخرج ونكسر هذه الدائرة؟

اسئلة بقيت معلقة الى حين ولكن الاهم انني حررت نفسي من غضبي وحررت والدي من تهمة لم يرتكبها اصلا.

## عودة الى ساحة «البلد» وشجرة الكينا

كانت العادة ان يحضر رفاق الحزب الشيوعي من منطقة المثلث، وخاصة من الطيبة والطيرة، الى كفر قاسم مرة في الأسبوع، كل يوم جمعة، لتوزيع جريدة «الاتحاد».

ولكني بدأت الاحظ، وكنت قد بلغت من العمر ١٣ عاما ونيف، ان زيارتهم اخذت تتكرر أكثر من مرة في الأسبوع، وكانوا يحملون بالإضافة لجريدة «الاتحاد» منشورات أخرى، يوزعونها مجانا وبشكل مكثف على الناس ويبقون ساعات طويلة في البلد يتناقشون ويتحاورن مع الناس. واخذت تدور في الاجواء مصطلحات لم أكن أعي معناها العميق وأهدافها مثل «اضراب عام» و «يوم الارض» و «مصادرة اراضي» و«سلطة وحكومة».

(البقية من ص ٤)

## وثيقة كينيغ

الرد على يوم الأرض جاء على شكل وثيقة سرية عنصرية أعدّها متصرف لواء الشمال في وزارة الداخلية يسرائيل كينيغ للتوصية باتباع سياسة مؤسساتية تحد من النفوذ السياسي والديموغرافي للعرب الفلسطينيين داخل إسرائيل.

أهم التوصيات:

*الديموغرافيا:زيادة الاستيطان اليهودي وتشجيع هجرة المواطنين العرب.

* السياسة: ضرب الحزب الشيوعي والقيادات «الوطنية المتطرفة» من خلال دعم أحزاب عربية تابعة للدولة لتقويض الأحزاب القائمة

* الاقتصاد والعمل: تقييد العمالة العربية في المؤسسات الحكومية والصناعية، وتقليل الدعم المالي للعائلات الكبيرة.

* التعليم: توجيه الطلاب العرب نحو التعليم المهني بدل الأكاديمي لتقليل الانخراط في النشاط السياسي القومي.

تطبيق القانون: تشديد الرقابة على المجتمع العربي وفرض القوانين بصرامة.

# حين تلتقي قيم العدالة الاجتماعية مع الوطنية

(تتمة من ص ٣)

وأن هناك توتر عام لم أفقه معناه ومن أين أتى ولماذا وكيف، ولكني كنت على قناعه ان لهؤلاء الناس، اصحاب المنشورات والجريدة دورا في ذلك.

في صبيحة الـ ٣٠ من اذار ١٩٧٦ ذهبنا الى المدرسة كالمعتاد، ولكن الاجواء العامة كانت متوترة للغاية، وما ان دخلنا صفوفنا في مدرسة «الغزالي» التي كانت مدرسة ابتدائية واعدادية وثانوية، حيث تم افتتاح القسم الثانوي حديثا، حتى سمعنا جلبة كبيرة واصواتا تتعالى وتدعونا للخروج من الصفوف وما هي الا لحظات حتى دخل صفنا أحد طلاب المرحلة الثانوية وبحماسة شديدة دعانا للخروج من الصف.

وما ان خرجنا حتى رأينا ان المدرسة برمتها كانت في الساحة، حيث تجمهر عدد لا بأس به من طلاب المرحلتين الثانوية والاعدادية واخذوا يطلقون الشعارات والهتاف، لا أذكر تفاصيلها، لكن أذكر الجلبة التي عمّت ساحات المدرسة.

ثم انطلقت مسيرة كبيرة من كل طلاب المدرسة باتجاه المنطقة الغربية لبلدنا، لتلتقي مع مسيرة اخرى كانت قد انطلقت من مركز القرية، أي ساحة «البلد» حيث شجرة الكينا الخالدة. انطلقت المسيرة بعد ان وقف المناضل الراحل عمر عصفور عامر، كما حدثني نجله المهندس والمربي وليد عامر، مطلقا صرخته للمتواجدين ان قوموا وناصروا ابناء شعبكم في الجليل الذين يتعرضون للقتل، حيث بدأت تصل المعلومات حول سقوط شهداء في الجليل. وحث أهل البلد كذلك، حيث نادى: «ناصروا أرضكم المصادرة». التي تمّ الإعلان عن مصادرتها في وقت سابق في منطقة في الجهة الغربية من كفر قاسم تدعى حتى اليوم منطقة «الطبقة»، وقد احاطتها السلطات الحكومية الإسرائيلية بالخوازيق والاسلاك، معلنة بذلك مصادرتها. وقد قامت ايادي الطلبة والشباب، بإزالة الاسلاك وخلع الخوازيق وحملها على الاكتاف لمسافة طويلة متجهين الى مركز القرية، الى ساحة «البلد» حيث بناية المجلس المحلي، وألقوا بها امام المجلس وسط هتافات عالية وكبيرة منددة بالمصادرة وغيرها من الشعارات.

لاحقا اتضح ان السلطات قامت باعتقالات استباقية في كفر قاسم شملت الرفاق محمد داوود طه «ابو عدنان»، حمدالله اسماعيل بدير والمناضل عبد الله نمر بدير «ابو ناشد». الا أن من بقي من الرفاق والمناضلين قام بواجبه الوطني كما يجب. لم يخضع الرفاق لمحاولات الترهيب وإحباط النضال الشعبي، حيث استمروا في جهودهم للتنظيم والدفاع عن أراضيهم وتلبية دعوة اللجنة القطرية للدفاع عن الأراضي في إنجاح إضراب يوم الأرض.

هذه المسيرة في ال ٣٠ من اذار عام ١٩٧٦ قلبت الموازين في كل تفكيري، لأول مرة اشارك في مسيرة، بل مظاهرة كتلك، وهي مختلفة عن مسيرة ومظاهرة إحياء ذكرى شهداء مجزرة كفر قاسم، والتي بالعادة، حتى ذلك الحين كانت مشاركتي فيها غير فعالة سوى السير مع الجمهور الواسع بحزن وألم دون ان يكون لدي دور.

ولأول مرة اسمع هتافات وطنية، يطلقها شبان وشابات من بلدنا، قسم كبير أعرفهم شخصيا وقسم آخر كنت أصادفهم في مكان آخر في البلد. حينها، كان بمقدوري ترديد هذه الهتافات، بشعور يغمره رهبة الجماعة والألفة، رغم الإرباك الذي

رافق فتى في الثالثة عشر من عمره يشارك الهتاف لأول مرة، مع كافة زملائه وأترابه الطلبة.

ولكن كان هنالك سؤال أشغل ذهني خلال المظاهرة: لماذا تبدو وجوه هؤلاء الشباب الذين يهتفون بهذه الحماسة، ويحملون الخوازيق التي اقتلعوها على اكتافهم، مألوفة؟ أين اراهم خارج المدرسة؟ نعم.

كنت أراهم في نادي للحزب الشيوعي يقع مقابل مدرسة الغزالي وبالقرب من بيت جدي لأمي، حيث كنت دائم التواجد في هذا البيت الدافئ. كنت اشاهدهم دوما دون ان أعي او أعرف ما هذا المقر او هذا النادي.

لم تنته الحكاية في ذلك اليوم، ففي اليوم التالي ليوم الارض، اي في ٣١ اذار شهدت المدرسة ضجيجا جديدا ورفضا صارما من طلاب المرحلة الثانوية الدخول الى الصفوف لمواصلة التعليم. لاحقا اتضح ان هذا الاضراب، هو اضراب تضامن ومساندة لمعلمين من المدرسة الثانوية جرى اعتقالهم مساء يوم الارض ٣٠ اذار وهما الاستاذين مدحت سمارة من الطيرة وعمر غرة من جت المثلث بتهمة تحريض طلاب المدرسة على الاضراب وتعطيل الدراسة.

والاجمل ان نضال الطلبة نجح، حيث تم إطلاق سراح المربين مدحت سمارة وعمر غرة في نفس اليوم، ولدى وصول خبر إطلاق سراحهم تعالت أصوات الفرح.

ولكن بعد هذه المظاهرة قررت ان أعرج على هذا المقر لأعرف وأتعرف على هؤلاء الشباب عن قرب وماذا يفعلون؟

وكانت المفاجأة، وكأنني حصلت على كنز من المعرفة وبئر لا ينضب من الفكر، حيث جريدة «الاتحاد» ومجلة «الغد» ومجلة «الجديد» الادبية والثقافية وغيرها من الكتب.

وكانت الرغبة الجامحة بالتعرف على هؤلاء الشباب وما فعلوه في يوم الارض، دافعا لي لكي أعمق معرفتي بهم وبفكرهم وارادتهم. ورغبة في الحصول على اجوبة شغلت تفكيري الطفولي لسنوات طويلة.

هنا في هذا النادي الذي لم أعرف اسمه إلا لاحقًا، نادي الحزب الشيوعي في كفر قاسم التقت المشاعر القومية والوطنية مع الاسئلة التي شغلتني سنوات طويلة حول الفقر الذي نعيشه.

مع ازدياد تقربي للشبيبة الشيوعية بدأت الاجوبة تنهال علي وبدأت أتحرر من مشاعر الغضب على والدي، لتتجه نحو العناوين الصحيحة، وهي نظام الاستغلال الطبقي للعمال والفلاحين، هذا النظام الذي يكرس الفقر والاضطهاد والاستعباد من خلال منظومة مبنية باحكام لكي تبقى هذه الطبقات المسحوقة حيثما هي تتخبط في فقرها وتركض وراء لقمة عيشها، وتبقي هي تمارس غيها وقمعها واستغلالها، لتضيف له القمع القومي والوطني، في حالتنا نحن الجماهير العربية الفلسطينية الباقية في وطنها.

جاء يوم الارض الخالد قبل ٥٠ عاما ليفجر الطاقات الكامنة في جماهيرنا بأبهى حالات الابداع النضالي حين تلتقي الارادة الجماهيرية والشعبية بقيادة وطنية متزنة، لا تغامر، ولكنها لا تساوم عن حق شعبها في البقاء.

حالة تلتقي فيها أسمى القيم الإنسانية، قيم النضال الوطني والاممية الصادقة والعدالة والاجتماعية، القائمة على التوزيع العادل للخيرات والثروات، لكي لا يبقى شاب يافع، في كل بقاع الأرض، يتهم والده بانه السبب في فقر عائلته.

مسؤوليتنا في الذكرى الـ ٥٠ ليوم الارض هي تعزيز قيم النضال الوطني المنفتح على الشراكات الاممية، التي تضمن البقاء المبني على الكرامة الانسانية وتجذير مشاعر الانتماء للوطن والارض والانسان. قيم المساواة الوطنية والمدنية كحق وليس كمنة من أحد. وفي ظل المستجدات الاقليمية والحرب العدوانية على إيران تبقى الوحدة الوطنية، كما تجلت قبل ٥٠ عاما، مطلبا وطنيا ملحًا، علينا تعزيزها ورفدها بعوامل القوة والاستمرار.

في يوم الأرض ٢٠٢٦ أيضا:

# من سار على درب النضال وصل!

أمجد شبيطة

الحزب الشيوعي لم يصنع يوم الأرض، والطريق إلى يوم الأرض لم تبدأ ليلته، عند سقوط الشهيد الأول. الطريق إلى يوم الأرض لم تبدأ صيف العام ١٩٧٥ بالاجتماعات التحضيرية التي بادر إليها الحزب ثم لجنة الدفاع عن الأراضي، وبالطبع لم تبدأ بالمواجهة الأولى في ٢٥ آذار في محيط بلدية شفاعمرو.

إنما الجماهير العربية الفلسطينية الباقية في وطنها، هي من صنعت يوم الأرض، وهي التي شقت الطريق إليه، منذ أدمس ليل النكبة في العام ١٩٤٨، فوجدت نفسها طائر عنقاء يعيد تكوين نفسه ويشتد عظمه من بين الركام، هي عملية تراكمية متواصلة من التشبث بالعيش الكريم، جدي كان شريكا بها -لربما دون أن يدرك- حينما «تسلل» إلى قريته المهجرة ليسد بما جادت به حاكورته جوع أبنائه، وعمتي أيضا كانت شريكة بها، حينما كانت تسترق السمع لخطابات عبد الناصر، فتتزود ببعض المعنويات حتى الخطاب القادم. نجلاء أبو راس، التي كانت تتنكر بزي بائعة اللبن لإيصال الاتحاد من الطيبة إلى قلنسوة، ومحامي الأرض، حنا نقارة حين واجه «الهويات الحمر» فغنت نساء الشاغور لانجازاته «غصبا عن رقبة بن غوريونا»، توفيق طوبي ومايز فلنر، حينما كشفا عن مجزرة كفر قاسم، ثم عضو بلدية الناصرة، فؤاد خوري الذي رفض فرض «احتفالات العاشوراء بقيام اسرائيل» على أهل بلدته، فانطلقت انتفاضة أيار ٥٨، هؤلاء كلهم وكل طالب ثانوي وجامعي، دك بعلمه مقولة «حطابين وسقاة ماء» - شقوا الطريق الطويلة الوعرة نحو يوم الأرض.

الحزب الشيوعي لم يدع يوما احتكار صناعة يوم الأرض، وإن كان أول من بادر وأكثر من ثابر على تحريض الناس وحثهم للمطالبة بحقوقهم والأهم الأهم: تنظيمهم في الطريق إلى الشوارع.

هنالك من يظن، أن دور توفيق زياد الأهم، كان بصرخته التاريخية في بلدية شفاعمرو بأن «الشعب قرر الإضراب» والحقيقة أن هذه الوقفة البطولية له وللروساء المؤيدين لموقفه ولمئات الكوادر الشابة التي أحاطت مبنى البلدية لحماية قرار الإضراب من محاولات السلطة المستميتة لكسره، ما كانت لتصل إلى هنا لولا الدور الأهم الأهم لتوفيق زياد ورفاقه في الناصرة بالانقلاب التاريخي في كانون الأول ١٩٧٥، على أزلام السلطة وتحرير المدينة الأولى لجماهير شعبنا -عاصمتنا- من قبضتهم.

## يوم الأرض أسقط عقدة «رضا الخواجا» وأحزاب السلطة العربية!

جاء يوم الأرض، ليسدد ضربة قاضية لسياسات مصادرة الأرض لكنه أصاب بنفس الحجر نفسية الخوف لنستبدلها بالجهوزية للمواجهة، وأسقط عقدة «رضا الخواجا» التي عربدت في ظل الحكم العسكري وما تلاه، لنستبدلها بالإصرار على نصب قاماتنا واستلال حقوقنا بندية بل وبالمواجهة إن تطلب الأمر.

وفي هذا الموقف بالذات من الضرورة بمكان، التأكيد بأن هذا الحجر أيقظ «عرب الحكومة» من وهم «التأثير على الحكومة» من خلال التذلل للحاكم العسكري ومخاتيره أو الاصطفاف في طوابير الكتل «العربية» التابعة لحزب المباي الحاكم!

قلائل يدركون أنه في أعقاب يوم الأرض الأول، تم تأسيس الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة التي خاضت الانتخابات البرلمانية عام ١٩٧٧ وليصوت لأول مرة منذ النكبة غالبية المصوتين العرب لها، أي لقائمة غير صهيونية، وبهذا تنهي عهد القوائم العربية الدخيلة، التي نجحت منذ الكنيست الأولى بسرقة الأصوات من المجتمع العربي إما بالعصا وإما بالجزرة، وجزرات السلطة كعصيها معمية للبصر والبصيرة!

يوم الأرض، سخنين، 2022

هذه القوائم التي تبجح مرشحوها «بعلاقاتهم وصلاتهم» هي التي أسقطت في أوائل الستينيات مشروع القانون الذي قدمه الحزب الشيوعي بإلغاء الحكم العسكري بادعاء أنهم بفضل علاقاتهم مع الحكم العسكري يستطيعون حل مشاكل الناس.

هنالك من يدعي أن زوال ظاهرة هذه القوائم مرتبط فقط بانقلاب العام ١٩٧٧ وهزيمة الحزب الحاكم «مباي»، والحقيقة هي أن العامل الأول، هو التحول العميق داخل المجتمع العربي عقب يوم الأرض ١٩٧٦ والذي رغم مرور نصف قرن عليه ما زال إجماع واسع بأنه المحطة الأهم في تاريخ المواطنين العرب الفلسطينيين في إسرائيل، إذ سجل أول إضراب واحتجاج عام على مستوى قطري وجعل المجتمع العربي يكتشف قوته حين يعمل بشكل موحّد ومنظم، ومنذ ذلك اليوم أقيمت مؤسسات تمثيلية عامة، وعلى رأسها لجنة المتابعة العليا للجماهير العربية.

## الطريق من يوم الأرض نحو التعددية السياسية والكتلة المانعة

الإنجاز السياسي الكبير للجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة، في انتخاباتها الأولى، وحصولها على خمسة مقاعد في الكنيست التاسعة، ونفسية المواجهة التي أتاحت ذلك كانت هي نفسها التي أتاحت الفرصة للتعددية السياسية ونشوء قوى سياسية أخرى في المجتمع العربي، داخل وخارج البرلمان.

المؤسسة الاسرائيلية أدركت خطورة هذه التطورات وهو ما دفع حاكم لواء الشمال «يسرائيل كنيغ» إلى صياغة وثيقته سيئة الصيت والسمعة «وثيقة كنيغ» السرية التي دعت إلى ضرب القيادات الشيوعية والوطنية التي اعتبرتها متطرفة واستبدالها بقوى معتدلة وإلى تعزيز الاستيطان اليهودي وتشجيع الهجرة، وإلى إقامة «حزب أخ للمباي» في المجتمع العربي.

لكن هذه الوثيقة جاءت متأخرة وما كان بالإمكان إعادة «المارد إلى القمقم»، فما كانت لتقوم قوة سياسية بين المجتمع العربي لا تحترم أدنى الثوابت الوطنية إلا وتكنس ولو بعد حين، وفي المقابل وإن ما عاد سقف الولاء للائتلافات الحكومية القائمة على تكريس الاحتلال والعنصرية يتلاءم مع قامتنا المنتصبة كشعب، إلا أننا لم نتنازل لحظة عن حقنا وواجبنا بالتأثير واستلال حقوقنا فعملنا على اختلاق نماذج أخرى، وهنا بالذات أفضت التجارب المختلفة لتصل في العام ١٩٩٢، إلى تشكيل «الكتلة المانعة» المكونة من كتلتي «الجبهة» و«الديمقراطي العربي» والتي أفشلت محاولات اسقاط حكومة اسحاق رابين، من قبل اليمين المتطرف انتقاما من الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية والتفاوض معها.

الكتلة المانعة هذه، تمكنت من جني ثمن سياسي زخم تمثل باستلال حقوق كثيرة للمجتمع العربي في حينه، إلى جانب التقدم بالعملية السلمية، وهذه القدرة على التأثير كانت من أهم العوامل التي جعلت الحركة الاسلامية في البلاد تحسم أمرها نحو الانخراط بالعمل البرلماني ودفعت نحو تأسيس التجمع الوطني الديمقراطي ومن ثم الحركة العربية للتغيير.

## نحو تجاوز «نقطة الكسر» منذ هبة القدس والأقصى ٢٠٠٠

والحقيقة أن السلطة تمكنت ولو مرحليا من كسر سيرورة التعاظم السياسي هذه، عقب هبة القدس والأقصى في أكتوبر ٢٠٠٠، بهدف زجنا إلى ما قبل يوم الأرض، ولربما كانت نقطة التغلب الأساسية على هذه السياسة من قبلنا بتأسيس «القائمة المشتركة»، التي رفعت مجددا شأن العمل السياسي ككل والبرلماني على وجه التحديد، لكن سرعان ما تمكن اليمين من شرخها ضمن نفس المخطط للنيل من النهوض بعملنا السياسي الوحدوي.

رغم كل الخيبات من «المشتركة» وبعض الشركاء فيها، إلا أننا اليوم، في مواجهتنا لحكومة اليمين الفاشي، وكفاحنا لاستلال الحق بمجرد العيش بأمان وكرامة أمام الجريمة والعنصرية المستفحلتين هنا والدلائل التي تبين بأن هذا الحريق الذي نواجهه هنا ليس إلا امتدادا لنيران حرب الإبادة في المناطق المحتلة، مضطرون أن نتفق بأن التناقض الأساسي اليوم هو بيننا كمجتمع عربي يواجه المخاطر الوجودية وبين حكومة اليمين الفاشي هذه وليس بيننا وبين بعضنا البعض، وإن كان في هذا الصدد ما نستفيده من تجربة يوم الأرض الأول، فهو السعي نحو أوسع شراكة ممكنة، لإحراز هدف عيني كإسقاط حكومة اليمين الفاشي هذه، لا لأن بدائلها أقل فاشية منها بل لأنهم مهما حاولوا - لن يكونوا بنفس درجة الخطورة التي وصلتها هذه الحكومة بأفكارها ومخططاتها ورئيسها الفاشي وعلاقاته مع فاشيي العالم.

ومن دروس يوم الأرض أن نتذكر أنه في العام ٧٦، كانت لجنة الدفاع عن الأراضي قد اتسعت لشخصيات حاربت سياسة المصادرة لكنها لم تحارب أوجها أخرى من التمييز العنصري، كما أن الجبهة والقوى الوطنية الناشئة فتحت أذرعها لرؤساء السلطات المحلية الذين ائتمروا حتى يوم الأرض الخالد بأوامر السلطة ثم انتفضوا عليها. واليوم أيضا، في الظروف الراهنة تستوجب التحديات الراهنة تشكيل وحدة سياسية واسعة، وإن كان على برنامج الحد الأدنى سياسيا، لكن هذا لا يجب أن ينسينا أيا من الجزئيات التي قد نختلف عليها مع الشركاء، فمن الممنوع أن تأتي الشراكات المرحلية على حساب النضال ضمن مشروعنا السياسي الأكبر على المدى الأبعد نحو السلام والمساواة والديمقراطية.

طب والأرض؟ هذا كله متعلق بها، بيومها وبالدفاع عنها! فيوم الأرض هو انتصاب القامة في كل مقام، مهما اختلف المقال والقناعة اليوم أيضا وبعد نصف قرن أن من سار على درب النضال وصل!

### الكتاب الأسود، ما هو؟

الكتاب الأسود هو كتاب سياسي وتوثيقي صدر في أيلول 1976 عن اللجنة القطرية للدفاع عن الأراضي العربية في إسرائيل، بهدف توثيق أحداث يوم الأرض 30 آذار 1976 من وجهة نظر المواطنين العرب ولدحض الرواية الرسمية الإسرائيلية لما جرى.

يتضمن الكتاب شهادات وإفادات حول ما حدث في يوم الأرض وما سبقه وتلاه ويعتبر مصدرا موثوقا وهاما - سيتم نشره على الشبكة في الموقع الإلكتروني لإحياء ذكرى يوم الأرض الخمسين.

# يوم الأرض: من النضال من أجل حقوق الفرد إلى تشكيل وعي قومي جماعي

نشاط بريطاني تضامني مع فلسطين في يوم الأرض تم رفعها بتاريخ: 2021

**عوفر كسيف**

يوم الأرض، ٣٠ آذار ١٩٧٦، ليس مجرد حدث احتجاجي ضد مصادرة الأراضي؛ بل هو اللحظة التي بدا فيها أن الجماهير العربية الفلسطينية في دولة إسرائيل «وُلدت من جديد» كفاعل سياسي جماعي. فإذا كان النضال السياسي حتى منتصف سبعينيات القرن الماضي، بقيادة الحزب الشيوعي، قد تمحور حول المطالبة بالمساواة في الحقوق المدنية، وتحسين الظروف المعيشية المادية، وإلغاء الحكم العسكري (حتى عام ١٩٦٦)، فإن أحداث يوم الأرض (أو يوم الصمود) شكّلت نقطة تحوّل نحو نضال قومي-جماعي علني على الأرض والهوية، وعلى الحقوق الجماعية للأقلية القومية العربية الفلسطينية داخل دولة إسرائيل ذاتها. وفي قلب هذا التحوّل برز الحزب الشيوعي والقائد توفيق زيّاد، اللذان ساهما في صياغة اللغة السياسية الجديدة لذلك المكوّن القومي.

كانت الخلفية المباشرة ليوم الأرض ما عُرف بـ«خطة تطوير الجليل»، وهو اسم استعاري لسياسة حكومية هدفت إلى تغيير التوازن الديمغرافي في المنطقة، وتوسيع «حيّز المعيشة» اليهودي، إن صحّ التعبير. ولم تُفهم مصادرة نحو ٢٠ ألف دونم من أراضي سخنين وعرّابة ودير حنّا على أنها مجرد مساس بملكية خاصة لمزارعين، بل كُرست بوصفها محاولة مؤسسية لاقتلاع الحضور المكاني العربي في الجليل.

حتى تلك المرحلة، كان النضال العربي يُدار أساسًا في الإطار الليبرالي-المدني: طلبات للحصول على تراخيص بناء، والمطالبة بتوفير البنى التحتية في القرى، ومحاولات الاندماج في مؤسسات الدولة. جاء يوم الأرض لينسف هذه المقاربة، إذ أوضح للجمهور العربي أن التهديد لا يستهدف «المواطن العربي» كفرد، بل يستهدف الكيان العربي الجمعي من السكان الأصليين ذوي الحقوق التاريخية في الحيّز والأرض.

لعب الحزب الشيوعي دورًا حاسمًا -فكريًا، تنظيميًا، وبالأساس سياسيًا- في هذا التحوّل. فعلى خلاف الأحزاب التابعة لحزب «مباي»، التي عملت وفق منطق الزبائنية (الحمائلية والطائفية)، قدّم الحزب الشيوعي أيديولوجيا متكاملة بوصفها أداة لفهم الواقع وتغييره في آن معًا. وقد أدركت أن قضية الأرض والنضال عليها تشكّل أيضًا أساس مجمل أشكال التمييز، وبالتالي هي المفتاح لتوحيد الجماهير العربية بتعدديتها، وكذلك اليهود الديمقراطيين، ضمن نضال مشترك واحد (وهو ما أفضى لاحقًا إلى نشوء الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة). من خلال إقامة «لجنة الدفاع عن الأراضي»، حوّل الحزب الشيوعي الاحتجاج إلى فعل منظّم سياسيًا، بل وفكريًا أيضًا. وقد رفعت شعار «الصمود»، وهو مفهوم لا ينشغل بحقوق الفرد في مواجهة البيروقراطية، بل بحق الشعب الأصلاني في البقاء على أرضه. وبهذا، نقل الحزب الشيوعي الجماهير العربية من كونها أقلية مدنية مشتّتة إلى أقلية قومية منظّمة. كما نجح في الربط بين المصطلحات الماركسية للصراع الطبقي وبين التطلعات القوميّة الفلسطينية، مقدّمًا بذلك جسرًا ممكنًا بين المواطنة الإسرائيلية، بما يترتب عليها من حقوق، وبين الهوية القوميّة الفلسطينية.

اختتام مهرجان يوم الأرض في دير حنا، 2024

إذا كان الحزب الشيوعي هو العقل الذي قاد هذا التحوّل، فإن توفيق زيّاد كان قلبه النابض. بصفته رئيس بلدية الناصرة، وعضو كنيست، وشاعرًا محبوبًا، جسّد زيّاد جيلًا جديدًا لم يعد مستعدًا لـ«طلب» الحقوق، بل للنضال من أجلها. وفي الاجتماع الشهير لرؤساء السلطات المحلية في ٢٥ آذار ١٩٧٦، حين هدّد ممثلو السلطة ضد الإضراب المزمع، وجّه إليهم زيّاد جملته التي خُلّدت في الذاكرة: «الشعب قرّر الإضراب».

لم يكن استخدام كلمة «الشعب» اعتباطيًا، بل كان تصريحًا سياسيًا واضحًا: نحن لسنا مجرد سكان أو مواطنين، بل نحن شعب. وقد منحت أشعار توفيق زيّاد، ولا سيما عبارته: «هنا.. على صدوركم، باقون كالجدار»، بُعدًا ثقافيًا بطوليًا للنضال. حوّل زيّاد يوم الأرض من لحظة مواجهة إلى مسار نضالي مستمر من أجل تقرير المصير. وأوضح أن جوهر النضال هو الاعتراف -الاعتراف بالجمهور العربي الفلسطيني كأقلية قومية في دولة إسرائيل، لها حقوق جماعية على أرضها، ولغتها، وثقافتها.

انتهى يوم الأرض بمأساة -ستة شهداء وعشرات الجرحى- لكنه كان، من الناحية السياسية، نصرًا لافتًا. فللمرة الأولى، نجحت الجماهير العربية الفلسطينية في إسرائيل في فرض أجندتها على الدولة من خلال فعل مباشر ومستقل. وفي أعقاب الأحداث، نشأت مؤسسات مثل لجنة المتابعة العليا، التي شكّلت أساسًا للتمثيل الجماعي القومي للفلسطينيين في إسرائيل أمام مؤسسات الدولة. تحوّلت الأرض من مجرد مورد اقتصادي إلى رمز للسيادة والانتماء الوطني، وانتقل النضال من خطاب «الاحتياجات» إلى خطاب «الحقوق القومية». وأثبت الجمهور العربي أنه قادر على تحدي المنظومة الأمنية والسياسية للدولة دفاعًا عن وجوده الجماعي.

كان يوم الأرض، بقيادة الحزب الشيوعي وبإلهام من توفيق زيّاد، اللحظة التي توقّفت فيها الجماهير العربية في إسرائيل عن كونها «غير مرئية». كانت تلك النقطة التي أصرّت فيها الأقلية القومية الفلسطينية على مكانها، لا بوصفها مجرد أفراد يسعون إلى المساواة، بل كجماعة قومية معتزّة تطالب بالاعتراف بحقوقها التاريخية. ولا زال هذا الإرث تتردد أصداؤه حتى اليوم في كل نضال يتعلق بالتخطيط والبناء والتمثيل السياسي للمجتمع العربي في إسرائيل.

في هذه الأيام المروّعة من الإبادة الجماعية، التطهير العرقي، العسكرة القاتلة والفاشية، يسود ميلٌ لليأس والاستسلام من جهة، ومحاولات استعمارية عنصرية لإنكار الوجود القومي الفلسطيني، ورفض الحقوق الأساسية لهذا الشعب، خصوصًا حقه في وطنه، بل وحتى مساع لتهجيره منه، من جهة أخرى.

في مواجهة هذين الاتجاهين، يقف يوم الأرض كمنارة وركيزة للذاكرة والمقاومة. إنه يذكّرنا بأن محاولات محو هوية قوميّة أو سلب الحقوق ليست مصيرًا محتومًا، بل تحديًا يتطلّب موقفًا صلبًا. وفي الذكرى الخمسين ليوم الأرض، فإن الواجب القيمي والفكري والسياسي هو رفض اليأس والتمسّك بنضال مستمر وعادل من أجل المساواة القوميّة الكاملة؛ إنها دعوة للوقوف في مواجهة الظلم، ليس فقط كفعل احتجاجي، بل كالتزام عميق بالعدالة التاريخية وبحق كل شعب في تقرير مصيره والحفاظ على كرامته على أرضه.

عاش يوم الأرض، وعاشت الأممية والشراكة العربية-اليهودية!

# يوم الأرض سَجّل ذروة لمسيرة نضالية تصاعديّة بقيادة أساسية للحزب الشيوعي

برهوم جرايسي

كان يوم الأرض، الذي تفجّر يوم ٣٠ آذار ١٩٧٦، بمثابة محطة، وذروة لمسيرة نضالية بدأت مباشرة، مع بدء نكبة شعبنا الفلسطيني المستمرة، ولم يكن حدثا مفاجئا، أو اندفاعا جماهيريا، دون قيادة وقرار، بحسب ما حاولت كتابات ذات أجندة، ظهرت بشكل خاص في العقود الثلاثة الأخيرة، على وجه خاص، في إطار محاولات لاختلاق تاريخ مستكتب، لخدمة أجندات ذاتية ضيقة، حتى بثمن تشويه الحقائق، رغم أن تغييب الحقائق لا يخدم مسيرة جماهيرنا وشعبنا.

فيوم الأرض الذي قادته في الواجهة الأمامية، لجنة الدفاع عن الأراضي، كان الحزب الشيوعي، هو المؤسس والعمود الفقري لهذه اللجنة، وكوادره كانت العنصر الأساس في الشارع، وهذا لا يلغي وجود شخصيات وقوى وطنية كان لها حضور.

فجماهيرنا الباقية في وطنها، في مناطق ١٩٤٨، فرضت عليها جرائم النكبة حالة الرعب والرهبة، والشعور بشبه ضياع، أمام تخلي دول وشعوب الجوار عنها، لا بل كان الباقون في وطنهم عرضة لتهجمات، بتحويل مأثرة البقاء البطولية إلى اتهام جائر، «بالتساوق مع المشروع الإسرائيلي»، حسب التهمة الجائرة.

وكانت مهمة البقاء تقف على رأس الأجندة النضالية في تلك المرحلة، وكان الحزب الشيوعي القوة السياسية المنظمة الوحيدة بين جماهيرنا العربية، وبطبيعة الحال، كان هو العنوان الأساس، وشبه الوحيد، لقيادة النضالات الموضعية، والتخصصية، في ذلك الوقت، وتحت حراب الحكم العسكري؛ ولاحقا ظهرت حركة «الأرض»، في منتصف سنوات الخمسين من القرن العشرين، التي أقام معها الحزب الشيوعي في العام ١٩٥٨ الجبهة الشعبية، التي دامت ثلاث سنوات، ولم يُكتب لها النجاح، وتم حظر الحركة في العام ١٩٦٦، حينما تقدمت بطلب المشاركة في انتخابات الكنيست في تلك المرحلة.

وفي نهاية الستينيات، تأسست حركة «أبناء البلد»، منبثقة بمعظمها، عن حركة الأرض المحظورة.

## كفاحات وبطولات على مر ٢٨ عاما

مباشرة بعد العام ١٩٤٨، انطلقت كفاحات ونضالات متعددة ومتخصصة، لفلسطينيين الداخل، في بداياتها كانت تلك المتعلقة بتثبيت الوجود والبقاء في الوطن، وكلها بقيادة الحزب الشيوعي؛ على سبيل المثال لا الحصر: معركة الهويات»، حينما حاولت السلطات الإسرائيلية» فرض بطاقات هوية مؤقته، تشير إلى نوايا الطرد.

المعركة ضد ما تسمى «ضريبة الرأس»، التي تفرض على الأفراد العرب وحدهم، بهدف زيادة الأعباء المالية، رغم شحتها وأوضاع الفقر المدقع.

معارك الأرض والتصدي للمصادرات.

معارك من أجل ضمان الحق بالعمل، وتأمين لقمة الخبز، والتصدي لسياسات تصاريح العمل الجائرة.

المعركة ضد فصل مئات المعلمين والمعلمات الشيوعيين والوطنيين من جهاز التعليم، بشكل خاص في العامين ١٩٥٤ و١٩٥٥ ولاحقا.

معارك لحماية مؤسسات اقتصادية عربية، في وجه الاحتكارات الإسرائيلية، مثل حماية شركة الباصات العربية في الناصرة.

ثم وقعت مجزرة كفر قاسم، في ٢٩ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٥٦، التي كان الهدف الأساس منها، استئناف جرائم الترهيب لدفع الفلسطينيين على الهروب والتهجير قسرا.

وكانت الذروة الصدامية الأولى في الأول من أيار العام ١٩٥٨، حينما سعى الحاكم العسكري للتضييق على الشيوعيين، وفرض شروط مستحيلة لإفشال مسيرتهم السنوية التقليدية في هذا اليوم، انتقاما منهم، لإفشالهم فرض «احتفال» على مدينة الناصرة، بمناسبة ١٠ سنوات على «قيام إسرائيل»؛ وصدر بيان واضح من منطقة الناصرة الكبرى، في الحزب الشيوعي، الذي أكد أنه لا يجوز احتفال كهذا، وفي الناصرة خصيصا، بينما غالبية شعبنا الفلسطيني مهجّرين خارج الوطن وداخل الوطن، ومحرومين من قيام دولتهم المستقلة.

وتوالت النضالات أيضا في سنوات الستين، وشملت إضرابات محلية، ومظاهرات من أجل قضايا عينية.

## تقدم السنين وتبدّل الأجيال وتطور الخطاب

كلما كانت تتقدم السنين، كانت تظهر الأجيال الجديدة، التي لم تعلق بها آثار رهبة جرائم النكبة، وكان أمامهم الخطاب الوطني الثوري، الذي وجدوه في صحافة الحزب الشيوعي، ومن خلال نشاطه الميداني، فهذا الخطاب، لمن يتابعه منذ العام ١٩٤٨ ولاحقا، كان في تطور دائم، بموجب تصاعد التحديات، واتساع الوعي أكثر.

وهنا نذكر ما وثقته سلسلة طويلة من الأبحاث الأدبية والسياسية، بظهور أدب وشعر المقاومة، وبرزت فيه أسماء عديدة جلها من الشيوعيين: الشعراء، توفيق زياد، ومحمود درويش وسميح القاسم وسالم جبران، وأيضا راشد حسين. وفي الأدب إميل حبيبي، وفي الأبحاث السياسية التوعوية إميل توما، وغيرهم.

وفي مطلع سنوات السبعين، كان تبدّل الأجيال قد برز بقدر أكبر، ومن الأحداث التي يتم ذكرها، كحادث رمزي له دلالات جدية، حينما جاء وزير الحرب يتسحاق رابين في العام ١٩٧٣ إلى الناصرة، وتم فرض لقائه بطلاب المدرسة الثانوية في المدينة، فغنوا له يومها، «هزي يا نواعم»، وثارت ضجة يومها؛ لكن كما قلت، كان هذا الحدث، بقدر ما يظهر بسيطا، إلا أنه يجب ربطه بالأوضاع والأجواء التي كانت قائمة يومها، لنقول إنه حدث ليس سهلا، وبالتأكيد ذا دلالات.

## يوم الأرض باختصار

شرعت السلطات الإسرائيلية بنهب الأراضي العربية منذ اليوم الأول للإعلان عن قيامها، وكان بداية، بوضع اليد على أراضي القرى الفلسطينية المدمّرة والمهجّرة، وحتى أراضي الذين بقوا في وطنهم، لكنهم مهجّرين، ثم سُنت سلسلة من القوانين التي تمهد لمصادرة أراض شاسعة، مثل ما سميت في حينه «الأراضي البور»، ومنها ما تم فرض عليها صفة «أراض عسكرية»، لمنع أصحابها من دخولها وفلاحتها، ثم شرعت السلطات في نهب الأراضي الخاصة، وتقليص مناطق نفوذ البلدات العربية الباقية، في مناطق ١٩٤٨، واستمر هذا الحال لاحقا.

كان قرار مصادرة الأراضي في منطقة البطوف، وما تعرف باسم «أراضي الملّ»، وأراضي «منطقة ٩»، كأحد القرارات الأصعب، خاصة وأن في معظمها إن لم تكن كلها، أراضي زراعية، وهذا ما شجع على حراك شعبي، قاده الحزب الشيوعي، من خلال إقامة لجنة الدفاع عن الأراضي، مع الاهتمام بأن تضم شخصيات وطنية من خارج الحزب، وقد ترأسها القس شحادة شحادة، الذي كان لاحقا عضو قيادة الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة، التي أسسها الحزب في العام ١٩٧٧.

وكان هذا أيضا، ضمن أطر شعبية بدأت في التأسيس في مطلع سنوات السبعين، بمبادرة الحزب الشيوعي،

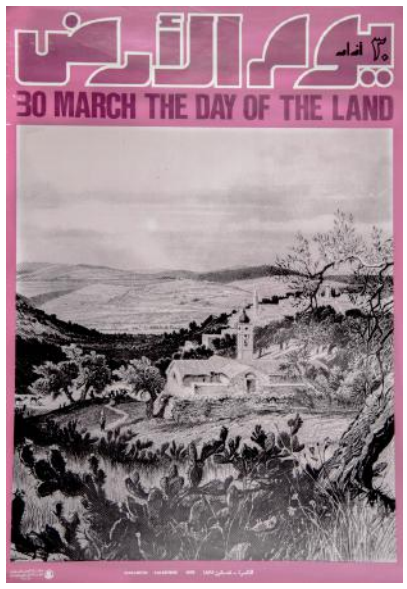


**ملصق صممه الفنان الفلسطيني إسماعيل شموط بالاستناد لمطبوعة حجرية لديفد روبرتس عام 1983 ضمن حقيبة من الملصقات الخاصة بيوم الأرض. تُصور مطبوعة روبرتس أشجارًا من بينها الصبّار تحيط ببعض المباني القديمة في الناصرة.**

من أبرزها الاتحاد القطري للطلاب الجامعيين العرب، واللجنة القطرية للطلاب الثانويين العرب، ولجنة المبادرة العربية الدرزية، في حين كانت أيضا قد أقيمت من قبل، اللجنة القطرية لرؤساء السلطات المحلية العربية ((مجالس بلدية وقروية.

ومن باب عدم الإطالة في تفاصيل معروفة، فإن حقيقة أن الحزب الشيوعي هو من أقام وقاد لجنة الدفاع عن الأراضي، التي كانت الواجهة والقائدة المباشرة ليوم الأرض، فهذا ما لا يمكن انكاره.

وأحد الجوانب التي يجب توثيقها أيضا، والتذكير بها دائما، أنه في ٢٥ آذار ١٩٧٦، دعت السلطة الحاكمة لعقد اجتماع للجنة القطرية للرؤساء العرب، في بلدية شفاعمرو، لاتخاذ قرار بإلغاء الاضراب، وهو الاجتماع الذي هتف فيه رئيس بلدية الناصرة، القائد الوطني، توفيق زياد: «الشعب قرر الإضراب».

وقد طوقت الاجتماع كوادر الحزب الشيوعي والشبيبة الشيوعية وقوى وطنية، مبنى البلدية، لحماية الرؤساء الـ ١١ الذين أيدوا الاضراب، ووقعت صداما ومواجهات، للتصدي لعدوان البوليس، ثم اندلعت حملة تحريض سلطوية، ترافقها وسائل الإعلام المركزية، ضد المواطنين العرب وضد الحزب الشيوعي.

بعد ذلك بيومين، على الأغلب، عقد المكتب السياسي للحزب الشيوعي اجتماعا سريا، في بيت الفنان الوطني الأصيل، عبد عابدي، في حي وادي النسناس، في مدينة حيفا، ولربما كان هذا الاجتماع الوحيد الذي عقد سرا، على الأقل، بحسب ما ورد في أدبيات الحزب، وقد عقد الاجتماع بحضور القائد توفيق زياد، الذي لم يكن يومها عضو مكتب سياسي، بل كان رئيس بلدية الناصرة، (٣ أشهر بعد توليه المنصب) وعضو كنيست.

وكان هدف الاجتماع، بحث هل الاستمرار في قرار الاضراب، على ضوء موجة التهديدات وحملات القمع، فقرر المكتب حسم الموقف بقيام بالإضراب رغم كل ما يدور، وكلّف رفاقه في لجنة الدفاع عن الأراضي، ليدعموا القرار، ويعملون على تطبيقه.

هذه حقائق موجزة جدا، وفي تلك الأحداث كانت تفاصيل أكبر وأوسع، وعرضها هنا هو للرد على موجة التزييف، التي تصر عليها بعض الجهات، التي لم تكن موجودة في حينه، ولها مصلحة في حجب دور الحزب الشيوعي في معارك جماهيرنا، منذ بدء النكبة وحتى يومنا

# خمسون عامًا على يوم الأرض: دروب النضال ونهج الكرامة

خطابنا الحقوقيّ يقترن بمبدأ أساسي يجب تعزيزه وهو مبدأ العدالة التّصحيحيّة، ذو البعد التّاريخيّ. على الخطاب الحقوقيّ الأشمل للأقليّة الفلسطينيّة في إسرائيل أن يتضمن إلى جانب حقنا بالمساواة القومية والمدنية، وإلى جانب حقنا بالعدالة التوزيعيّة، وحقنا بسد الاحتياجات الجمعيّة، ذلك المطلب الحقوقيّ بالاعتراف بحقوقنا التاريخيّة الجماعيّة من خلال المطالبة بالإقرار بالظلم التاريخي ضد الفلسطينيين، والعمل على إنهاء هذا الظلم ومعالجة نتائجه المستمرة حتى يومنا هذا

د. يوسف جبارين

الثلاثون من آذار، يوم الأرض، هو محطّة فارقة في تاريخ المجتمع العربيّ الفلسطينيّ في إسرائيل، بل في مسيرة الشّعب الفلسطينيّ عمومًا. جاء هذا اليوم كمحطّة نضاليّة وكفاحيّة جمعيّة ضدّ سياسات التّهويد، المصادرة، التّضييق، والاقتلاع وضدّ مشاريع السّلطة الّتي كانت (وما زالت) تهدف إلى نهب الأراضي العربيّة وسلبها من أصحابها الأصليين، وأصبح أحد الأيام الوطنيّة المركزيّة الجامعة لكافّة ابناء وبنات الشّعب الفلسطينيّ في كلّ أماكن تواجدهم، إذ دخل إلى تقويمنا الوطنيّ ويتم احياؤه ليس فقط لدى الأقليّة الفلسطينيّة في البلاد، بل لدى عموم الفلسطينيين في الضّفة وغزّة والشّتات.

صنع شعبنا هذا اليوم بالنّضال الشعبي والتحدّي الوطنيّ، ليسدّ الطريق أمام مخططات سلخ الأراضي العربيّة عن أصحابها وأوهام التّطهير العرقيّ استمرارًا لنكبة العام ١٩٤٨.

في يوم الأرض، ثبّت شعبنا معادلة الصّمود والبقاء في الوطن، وأكّد على أنّ هذا البقاء يتطلب منّا أن نتمسّك بما تبقّى من أراضينا، ليس فقط لأنّها موردًا ماديًا أساسيًا نحتاجه كأقلية قومية لمواصلة مسيرة الصمود والبقاء والتطور، بل ايضًا لأنّها تشكّل بالنسبة لنا الحبل السرّي إلى الزّمان والتّاريخ والذّاكرة الجمعيّة، لأنّ هذه الأرض، أرض الآباء والأجداد، باتت إحدى أهم مكوّناتنا الوجوديّة بوصفنا مجموعة قوميّة أصلانيّة. لأنّنا نشبهها وتشبهنا، ولأنّنا منها وإليها.

لا يمكن استحضار هذا اليوم والتّفكّر عميقًا في عبره دون تذكّر البصمات الخالدة للقيادات التّاريخيّة الّتي صاغت ملامح تلك المرحلة، وخاصّة من رفاقنا ورفيقاتنا المناضلين في الحزب الشيوعيّ وحلفائهم وشركائهم الوطنيين، والّذين معًا قرروا إعلان الإضراب العام واتّخذوا، بقيادة طيّب الذكر القائد توفيق زيّاد، طريق التحدّي كقرار نضاليّ لإحباط مشاريع التّهويد والمصادرة والنهب. هذه القيادة رسّخت بمواقفها الوطنيّة معادلة الصّمود والبقاء في الوطن، وعبّدت دروب النضال ضد مخطّطات التهويد والاقتلاع: طريق التحدّي لا المساومة، طريق المواجهة بكرامة، لا المقايضة. في أحلك اللّحظات واجهت هذه القيادة سياسات التّجهيل القوميّ وحافظت على فلسطينيّة الجماهير العربيّة الباقية في وطنها، وأسّست بذلك للتّوجهات والأدوات النّضاليّة لأهالينا في الجليل والمثلث والنقب والساحل.

بهذا المعنى، فإن يوم الأرض بالنسبة لنا ليس حدثًا ماضويًا ينتمي إلى القرن الماضي، وليس يومًا ذا دلالة رمزيّة فقط، يحييه النّاس كما هو الحال عند باقيّ الشّعوب الّتي تحيي أيامها الوطنيّة الهامّة، بل يحمل يوم الأرض دلالات راهنة ومتجدّدة، ومن عام لعام. في سياق نضال المجتمع الفلسطيني في البلاد، فان كلّ يوم يحمل تحديات يوم أرض، إذ أن مشاريع المصادرة وعقليّة التّهجير وذهنيّة التّضييق والتمييز حاضرة بكل قوّة في السياسات الإسرائيليّة المتعاقبة. فقط قبل بضعة اسابيع صرّح وزير الماليّة الفاشيّ، بتسائيل سموتريتش، أنّه يطمح إلى نقل ما أسماه بـ»ثورة الاستيطان» الّتي يقودها في الضّفة الغربيّة إلى منطقتي النّقب والجليل، مشيرًا إلى ضرورة استكمال «الانقلاب القضائيّ» الّذي تقوده الحكومة الحالية لتمكين قيادتها من إخراج برامجها السّياسيّة إلى حيّز التنفيذ.

وفي واقع الأمر، فان تصريحات سموتريتش هذه لم تأت كطفرة في سياق السياسات الإسرائيليّة العامّة أو سياسات التخطيط وتوزيع الأراضي على وجه الخصوص، إذ أن «عقليّة التّهويد»، من ناحية، ومنع أيّ محاولة للتوسع التخطيطيّ والجغرافيّ للبلدات العربيّة، من ناحية أخرى، هي جزء من الحمض النوويّ لأروقة الحكم في إسرائيل وللحكومات المتعاقبة. هذه السّياسات اصبحت أكثر تطرفًا وأشدّ خطورةً في ظل الحكومة اليمينيّة المتطرّفة الحاليّة والّتي تحوي على عناصر فاشيّة بكل ما تحمله الكلمة من معنى في مركز اتخاذ القرار فيها. هذه العناصر الّتي لم تزل تسعى إلى مواصلة عمليات التّطهير العرقي في قطاع غزّة، بالإضافة الى عمليات مصادرة وسرقة مساحات واسعة من أراضي الضّفة الغربيّة تمهيدًا لضمّها، هي ذات العناصر الّتي تصرّح بصريح العبارة حول تعميق مشروع التهويد والاستيطان في الجليل والمثلث والنّقب والساحل.

قضيّة الأرض كانت ولم تزل في صلب نضالنا كما في صلب خطابنا الحقوقيّ ومطالبنا التّاريخيّة. فخطابنا الحقوقيّ الّذي ندعو إلى تعزيزه وترسيخه، بالتّحديد في ظرّوف أيامنا، لا يقف عند حدود مبدأ المساواة في مفهومه التّقليديّ، ولا يكتفي أيضًا بمبدأ العدالة التّوزيعيّة (وما يترتب عليه من مطلب حصول المواطنين الفلسطينيين في اسرائيل على ما يُعادل نسبتهم السكانية من مجمل الموارد في الدّولة)، ولا هو خطاب يتمحور بمبدأ «سد الاحتياجات» للبلدات العربيّة في مجال الأرض والمسكن (وهو خطاب يقتصر عادةً على الأبعاد الاجتماعيّة-الاقتصاديّة). على الرّغم من أهمية ومحورية هذه المبادئ في خطابنا الحقوقي حول الأرض والمسكن، الا انها لا تستوفي الأبعاد التّاريخيّة والقوميّة والسياسيّة الأوسع في سياق أصحاب البلاد الأصليين.

إنّ أي خطاب سياسيّ-حقوقيّ حول قضايا الأرض والمسكن في السّياق الفلسطينيّ في الدّاخل يجب أن يجمع في آن واحد، بشكل جدليّ، الحقيقتين الكامنتين في واقعنا: كوننا أقليّة مضطهدة على أساس قومي وكوننا أهل البلاد الأصليين. الإقرار بالحقيقة التّاريخيّة بأصلانيتنا وأنّنا أصحاب الأرض، وأيضًا أنّنا نعاني من الاضطهاد القومي التاريخي في وطننا، هما حقيقتان متلازمتان في صُلب خطابنا الجماعيّ الأصلانيّ، ومن هذا يُشتق أيضًا خطابنا في موضوع الأرض. انّ كوننا أقليّة قوميّة مضطهدة، وفي ذات الوقت أهل هذه البلاد، يخلق علاقةً عضويّة بالوطن (وجدانيًا، وطنيًا، دينيًا وثقافيًا) مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بأي خطاب حقوقيّ حول قضايانا عامّة، وفي موضوع الأرض تحديدًا.

وبالتّالي، فإنّ أصلانيّة المجتمع الفلسطينيّ في إسرائيل يجب ان تشكّل قاعدة مؤسسة في شقّ طريقنا الكفاحي والحقوقيّ.

وعليه، فان خطابنا الحقوقيّ يقترن بمبدأ أساسي يجب تعزيزه وهو مبدأ العدالة التّصحيحيّة، ذو البعد التّاريخيّ. على الخطاب الحقوقيّ الأشمل للأقليّة الفلسطينيّة في إسرائيل أن يتضمن إلى جانب حقنا بالمساواة القومية والمدنية، وإلى جانب حقنا بالعدالة التوزيعيّة، وحقنا بسد الاحتياجات الجمعيّة، ذلك المطلب الحقوقيّ بالاعتراف بحقوقنا التاريخيّة الجماعيّة من خلال المطالبة بالإقرار بالظلم التاريخي ضد الفلسطينيين، والعمل على إنهاء هذا الظلم ومعالجة نتائجه المستمرة حتى يومنا هذا. ويترتب على هذا المبدأ مواجهة سياسة سلب الأراضي الّتي انتهجتها الحكومات الإسرائيليّة المتعاقبة ضدّ المواطنين الفلسطينيين الّذين صمدوا في وطنهم بعد النكبة، بحيث سلبتهم سلطات الدولة على مرّ السنين أكثر من نصف أراضيهم التي بقيت بحوزتهم. وقد كتب محامي الأرض حنا نقارة انه في العقد الاول بعد النكبة سلبت الدولة حوالي مليون دونم من المواطنين العرب، «من أخصب واطيب أراضيهم».

لا يمكن بلورة خطاب حقوقي شمولي في سياق قضايا الأرض للفلسطينيين في إسرائيل دون التشديد على الحقوق القومية التاريخية، وهي الجروح المفتوحة في جسدنا كمجتمع أصلانيّ. في صلب هذه القضايا استعادة الأراضي الّتي سلبت من أصحابها الفلسطينيين، في طول البلاد وعرضها، بما في ذلك الأراضي والممتلكات الخاصّة بأهلنا في المدن السّاحليّة وفي النقب. ولا بدّ من الإشارة هنا الى ثلاث قضايا عينية هي في صميم الخطاب الحقوقي المتعلق بحقوقنا التاريخية وتشكّل امثلة صارخة لهذه الحقوق المسلوبة: أوّلًا، قضيّة المهجرين الفلسطينيين من مواطني الدّولة، ومن عرفوا باسم «الحاضرون الغائبون». لم ولن يسقط بالتقادم حق المهجرين بالعودة إلى بلداتهم الأصليّة (مثل اللجون والغابسيّة ومعلول والبصة وميعار والدامون وإقرث)، وما زالت عودتهم تشكّل جزءًا مركزيًا من حقوقهم التاريخيّة. ثانيًا، قضيّة ملكيّة الأراضي والأملاك الخاصّة بالأوقاف الدينية، وخاصة الوقف الإسلاميّ. لا بدّ من تحرير هذه الاوقاف واستعادتها، ونقل صلاحيات إدارتها إلى هيئات عربيّة منتخبة تمثّل المصلحة الوطنيّة والدينيّة الحقيقيّة لأصحابها، وتسدّ الطريق أمام مواصلة نهب هذه الاوقاف وسلب خيراتها. ثالثًا، قضيّة أراضي المواطنين العرب في النقب وضمان ملكيتهم التاريخيّة لها (وقد كتب المحامي نقارة حول استيلاء الدولة على مليون ونصف مليون دونم من هذه الأراضي).

في الذكرى الخمسين ليوم الأرض، لا يمكن إلّا التأكيد على نهجنا السياسيّ النضالي وعلى خطابنا الحقوقيّ الشمولي في نضالنا من أجل تحصيل حقوقنا الجماعيّة والتاريخيّة. خطابنا هو خطاب أصلانيّ، تحرريّ، إنسانيّ ويستمد حضوره من القيم والأخلاقيات الإنسانيّة الكونيّة ومن عدالة حقوقنا القوميّة التاريخيّة.

في يوم الأرض، نجدد العهد بمواصلة الكفاح والنّضال من أجل حماية أراضينا وتحصيل حقوقنا. ولن يضيع حق وراءه مطالبون شجعان.

# فصح مجيد

وكل عام ونحن
للسلام والمساواة أقرب

**عزيز بسيوني**

رئيس دائرة تعميق
المساواة في الهستدروت

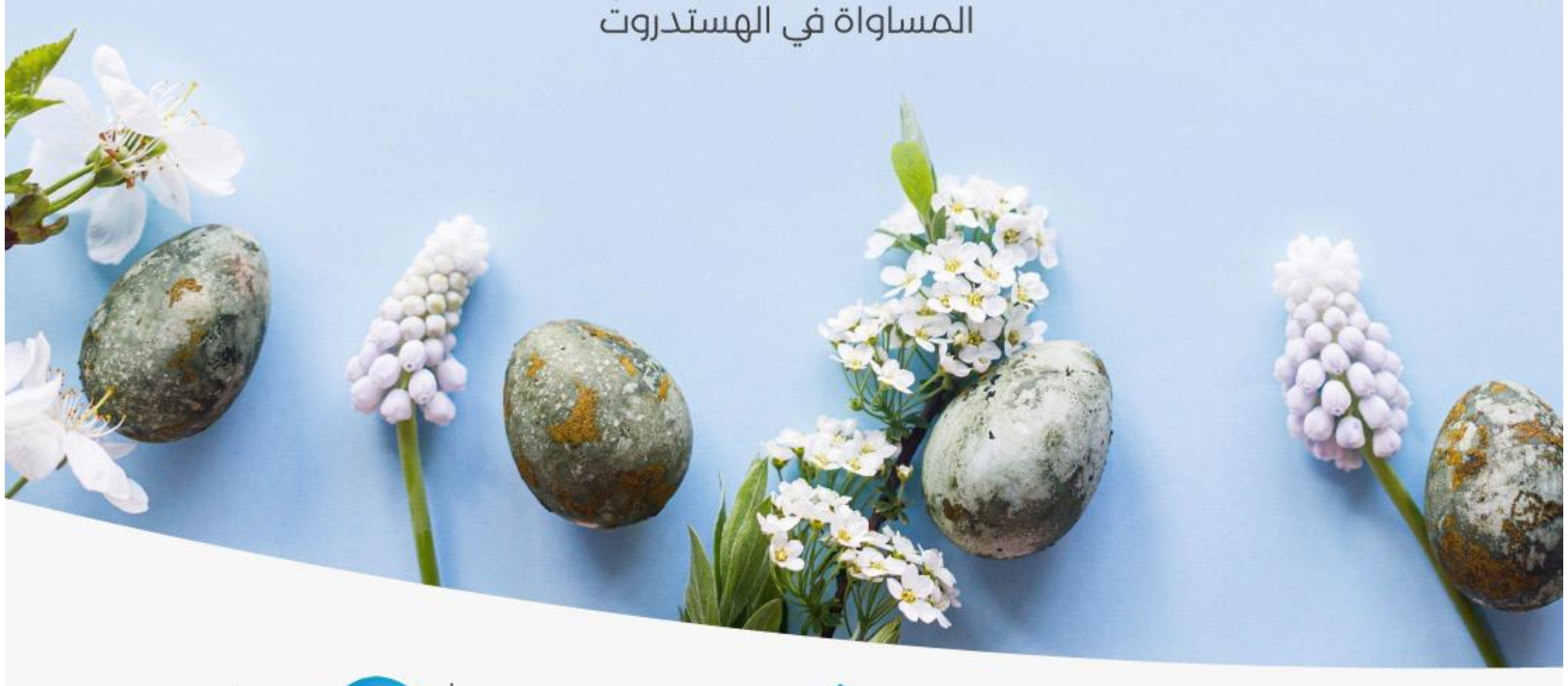

אגף לקידום שוויון
دائرة تعميق المساواة
בהסתדרות | في الهستدروت

ההסתדרות
הבית של העובדות והעובדים בישראל

# يوم الأرض: دروس في فرّ

شرف حسان

كثيرًا ما يحضر يوم الأرض في هذه الأيام عند مناقشة سبل مواجهة التحديات والأزمات التي نعيشها. فلا تزال هذه المحطة، في نظر كثيرين، اللحظة الأهم في التطور السياسي للفلسطينيين في إسرائيل. فما الذي يجعل يوم الأرض مهمًا إلى هذا الحد عند التفكير في مخارج أزماتنا الراهنة؟ لعل الجواب يكمن في أن يوم الأرض لا يقدّم لنا نموذجًا في الاحتجاج فقط، بل يقدّم لنا فهمًا أعمق في كيفية تشكّل الفعل الجماعي نفسه: كيف تنضج الظروف، وكيف تتبلور القضية الجامعة، وكيف يتحول الشعور بالخطر إلى وعي سياسي وتنظيم ومبادرة ومواجهة مدروسة. ومن هنا، فإن العودة إلى يوم الأرض تأتي بوصفها محاولة لاستخلاص دروس عملية لحاضر مأزوم يبحث عن أفق.

وتكفي نظرة إلى واقعنا الراهن لفهم سبب عودة يوم الأرض إلى الواجهة. فقد تعاظمت التحديات التي يواجهها مجتمعنا، بدءًا من مصادرة ما تبقّى من أراض لم تُسلب بعد، والتضييق على مدننا وقرانا العربيةً، وعلى أهلنا في المدن التاريخية والمختلطة، وفي النقب، مرورًا بالتمييز العنصري البنيوي، وتعاظم القوانين العنصرية، وتصاعد التوجهات الفاشية، والفقر، واتساع الفجوات، وأزمة التربية والتعليم، وغير ذلك من الأزمات المتراكمة، وصولًا إلى ظاهرة العنف والجريمة المنظمة التي تحولت في السنوات الأخيرة إلى خطر استراتيجي وجودي يهدد مجتمعنا ووجودنا الجماعي، وذلك كله في ظل ما يعيشه شعبنا من ويلات الاحتلال والاستيطان، وحرب الإبادة والتهجير، وانعدام أفق سياسي واضح للقضية الفلسطينية.

يشكّل مجتمعنا اليوم، من الناحية العددية، ما يقارب أربعة أضعاف حجمه عشية يوم الأرض. كما أن وضعه الاقتصادي يبدو أفضل نسبيًا مما كان عليه آنذاك، من حيث اتساع فرص التعليم والعمل، وتحسن أحوال فئات معينة، رغم الفجوات الكبيرة التي ما زالت قائمة، ورغم التمييز العنصري المأسس في نظام المواطنة الإسرائيلي. كذلك اتّسع حجم الطبقة الوسطى، وازداد عدد المتعلمين والأكاديميين والنخب داخله بدرجة كبيرة. وإلى جانب ذلك، شهد مجتمعنا توسعًا لافتًا في عدد التنظيمات المجتمعية والحزبية والسياسية، وفي المؤسسات الإعلامية والثقافية وغيرها من الأطر الفاعلة، وأُقيمت سلطات محلية جديدة في عدد من البلدات، وتحوّلت بعض المجالس المحلية إلى بلديات، كما تعزّز التمثيل العربي في الكنيست، وتراكمت الخبرات والتجارب والدروس، إلى جانب تحولات أخرى لا يستهان بها.

وهنا يبرز السؤال الصعب: كيف استطاعت تلك الأقلية الصغيرة، الباقية في وطنها والناجية من النكبة، أن تنتج يومًا كفاحيًا مشهودًا، وأن تطلق على أثره حالة من النهوض والبناء والمواجهة استمرت سنوات طويلة؟ ولماذا يبدو مجتمعنا اليوم عاجزًا عن إنتاج حالة نهوضية مماثلة لتلك التي عاشها في يوم الأرض الأول وما تلاه؟

الإجابة الكاملة عن هذه الأسئلة تتطلب الخوض في قضايا كثيرة لا أنوي تناولها كلها في هذا المقال: من التحولات العالمية والإقليمية والمحلية، إلى التغيرات التي طرأت على الشعب الفلسطيني عمومًا، وعلى الفلسطينيين في إسرائيل خصوصًا، فضلًا عن التحولات العميقة في المجتمع اليهودي وفي بنية نظام الدولة وسياساتها. كما أن بعض التطورات التي يُشار إليها عادة بوصفها إيجابية تحمل في داخلها تناقضات لا يستهان بها، وقد تكون أسهمت في تعميق الانقسامات الداخلية، وفي خدمة منظومة الضبط والسيطرة، وربما في إضعاف تماسك المجتمع وقدرته على الفعل الجماعي. لذلك سأكتفي هنا بالتوقف عند عدد من القضايا التي تبدو لي أساسية لكل من يسعى إلى الخروج من حالة العجز الراهنة.

## يوم الأرض كحالة وسيرورة

يتعامل البعض مع يوم الأرض بوصفه حدثًا تاريخيًا صنعه مجتمعنا في الثلاثين من آذار ١٩٧٦، من دون أن يضعه، بشكل كاف، في سياق النضال والتطور السياسي التراكمي الذي مهّد له، فيما يتعامل آخرون معه كهبة تلقائية اندلعت ردًا على مصادرة الأراضي. غير أن هذه النظرة تتجاهل سيرورة العمل المنهجي التي غذّت روح النضال، وهيّأت البنى التحتية التنظيمية والسياسية لولادة هذا الحدث. فالإضراب العام والشامل الذي شهده مجتمعنا عام ١٩٧٦ لم يكن معزولًا عما سبقه، بل جاء امتدادًا لحراك نضالي متواصل، ولروح التصدي والتحدي التي تبلورت إبّان الحكم العسكري، وتعززت بعده، ونضجت في أواسط السبعينيات، لتنتج حالة من الوحدة الكفاحية والنهضوية والتنظيمية والتعبوية، تُوّجت بإضراب يوم الأرض والاحتجاج الواسع الذي رافقه ضد مصادرة الأراضي ومشاريع التهويد.

وكان الإعلان عن مشاريع المصادرة والتهويد الجديدة في أواسط السبعينيات الشرارة التي سرّعت التحضيرات وأطلقت الحراك الذي قاد إلى يوم الأرض. فقد أصبح واضحًا أن بلدات عربية كثيرة ستتضرر مباشرة من مخططات المصادرة وسلب الأراضي في مناطق مختلفة، وبدأ سؤال: ما العمل؟ يفرض نفسه بإلحاح. لكن الجواب عن هذا السؤال لم يتشكل بصورة تلقائية، بل بدأ يتبلور عبر سيرورة عمل منظمة بادر إليها الحزب الشيوعي وقياداته وشركاؤه من الشخصيات والقوى الوطنية في تلك المرحلة، بعد أن كان قد عزز حضوره وقوته في مجتمعنا، خصوصًا إثر فوز توفيق زياد برئاسة بلدية الناصرة عام ١٩٧٥. والتوقف عند هذا الدور ليس مجرد استجابة لاعتبارات الإنصاف التاريخي، بل هو ضرورة لفهم سياق يوم الأرض وولادته، وللاستفادة من الدروس التي تقدمها تلك التجربة في تنظيم الناس، وبناء المبادرة، وإنضاج شروط النضال. وتزداد أهمية هذا الأمر اليوم في ظل التراجع الذي يشهده العمل الحزبي المنظم والشعبي.

فوجود حزب منظم، له مؤسساته وهيكله التنظيمي، وله فروعه في معظم القرى والمدن، وخلاياه الناشطة في الأحياء، وفي النقابات العمالية، وفي أوساط اجتماعية مختلفة، كالأكاديميين والتجار وغيرهم، وكوادره الفاعلة بين الناس، ومنظماته الشبابية والطلابية، وصحافته التي كانت تُوزَّع مباشرة إلى بيوت الناس عبر كوادره، وعمله الثقافي، وفرقه الفنية التي ظهرت في مهرجانات عدة، وشبكة الأصدقاء والشركاء والتحالفات التي بُنيت على مدار السنين، كل ذلك شكّل البنى التحتية لتحريك العمل الشعبي. وقد أشارت شهادات عديدة لناشطين وقيادات كان لهم دور مهم في حراك يوم الأرض إلى الكيفية التي ساهمت بها هذه القوى المنظمة في تشكيل اللجان المحلية، وتنظيم العرائض، وتجنيد التواقيع، وتنظيم المهرجانات والمظاهرات، وحشد الناس للمشاركة فيها، وإصدار البيانات، وغير ذلك، وكذلك في التجنيد السريع لإفشال مخططات سلطوية في بلدات عديدة وعلى صعيد قطري.

لقد أسهمت هذه السيرورة في بناء مسار عمل واضح ومتطور ومتفاعل مع الأحداث. ويمكن الإشارة هنا إلى الاجتماع القطري الذي عُقد في ٢٩,٧,١٩٧٥ في نادي الإخوة في حيفا، بحضور ممثلين عن قرى ومدن عربية وقوى يهودية متضامنة، بوصفه محطة مركزية في التحضيرات التنظيمية والسياسية التي قادت إلى يوم الأرض. فقد خلص هذا الاجتماع إلى الدعوة لعقد مؤتمر شعبي، وإلى تشكيل لجان تحضيرية له. ومن المهم فهم دلالة هذا الأمر في سياق تلك المرحلة، فمجرد التحضير لمؤتمر من هذا النوع لم يكن أمرًا عاديًا، بل كان فعل تحدٍّ واحتجاج واضحين في وجه سلطة عملت بكل قوتها على ضبط الناس وزرع الخوف في نفوسهم.

ثم تصاعدت التحضيرات للمؤتمر الشعبي، وتفاعلت مع خطوات الحكومة ومخططاتها، وجرى توسيع القاعدة الشعبية عبر تكثيف العمل مع الجمهور، والتحضير للمؤتمر الشعبي الكبير الذي عُقد في ١٨,١٠,١٩٧٥ في الناصرة بحضور واسع. وقد أفرز هذا المؤتمر عمليًا لجنة الدفاع عن الأرض، التي كانت قد بدأت تتبلور في خضم العمل الميداني ومحطات التحضير السابقة، وتحولت لاحقًا إلى العنوان المركزي لقيادة الاحتجاج ضد المصادرة. وأسهمت هذه اللجنة في تنظيم الأهالي، وفي تطوير النضال ضد محاولات السلطة منعهم من الوصول إلى أراضيهم في البطوف، وضد هدم المنازل وغيرها من السياسات. وبهذا المعنى، تحوّل كل حدث محلي إلى قضية قطرية، وهكذا أصبح الناس أكثر جاهزية للحديث عن إضراب شامل، ثم للإعلان عنه رسميًا، والدفاع عنه حين حاولت السلطات إفشاله.

المشاركة الشعبية الواسعة وروح يوم الأرض

عند العودة إلى الأخبار التي نُشرت منذ بدء التحضيرات للمؤتمر الشعبي، كما وثّقها الكتاب الأسود الذي أصدرته لجنة الدفاع عن الأرض بضعة أشهر بعد أحداث يوم الأرض، وفي جريدة الاتحاد التي كان لها دور مهم في التعبير عن قضية الأرض وتوثيق الأحداث والمواقف، وكذلك في الشهادات التاريخية التي نُشرت لاحقًا في إصدارات ومواقع مختلفة وحتى في الوثائق السلطوية، تتكشف أمامنا صورة مشاركة شعبية واسعة ومتنامية. فمنذ نهاية تموز ١٩٧٥، مرورًا بالجلسة التحضيرية الواسعة التي عُقدت في الناصرة في ١٥ آب ١٩٧٥، ثم بالمؤتمر الشعبي نفسه، وصولًا إلى عشرات، وربما مئات، التحركات والاجتماعات والمظاهرات الاحتجاجية والمؤتمرات الصحفية والعرائض والبيانات الداعمة، وإقامة اللجان المحلية، وتفاعل الطلاب الجامعيين والثانويين، والعمال، والفلاحين، ورؤساء السلطات المحلية، وأعضاء كنيست، إلى جانب تجنيد قوى ديمقراطية داعمة، تتضح دوائر مشاركة أخذت تُبنى وتتسع تدريجيًا حتى بلغت ذروتها في إضراب يوم الأرض.

هذا التمازج بين العمل القيادي الذي بلور المواقف ووضع الخطط انطلاقًا من الارتباط بحسّ الناس، وبين الناس الذين انخرطوا فيه ومنحوه عمقه الشعبي وطوّروه، هو ما أعطى القوة لذلك التيار الذي أخذ ينمو ويمتد شيئًا فشيئًا داخل المجتمع. وهكذا أصبح النضال ضد مخططات المصادرة الصوت الأبرز، والقضية الجامعة القادرة على تجنيد قوى وشخصيات وفئات مختلفة للانضمام إليه. وكان ذلك، في جوهره، درسًا في بناء هيمنة مضادة للمضطهدين في مواجهة هيمنة السلطة، وفي إنتاج زخم احتجاجي أسهم في تقويض شرعية المتعاونين مع السلطة داخل مجتمعنا، وفي إحداث تحولات سياسية عميقة.

# ...ن إنضاج الظروف للنضال

المؤتمر العام للجنة القطرية للدفاع عن الأراضي في الناصرة عام 1986

وقد تجلّت هذه التحولات في المشاركة الواسعة في إضراب يوم الأرض نفسه، وفي الاحتجاجات الصاخبة التي اندلعت على أثره، بدءًا من هبّة الجماهير الواسعة لحماية قرار الإضراب خلال اجتماع الرؤساء في شفاعمرو يوم ٢٥ آذار ١٩٧٦، الذي بادرت إليه السلطة في محاولة لإفشال الإضراب، مرورًا بالمشاركة الكبيرة في الإضراب العام والشامل يوم ٣٠ آذار ١٩٧٦، وانتهاءً بالمظاهرات الاحتجاجية الواسعة التي واجهتها السلطة بالحديد والنار، فسقط خلالها ستة شهداء، إلى جانب الجرحى والمعتقلين، وكثيرون دفعوا ثمن هذا الالتزام من لقمة عيشهم وأماكن عملهم.

وعندما نقرأ اليوم، بعمق، ما كُتب ووُثّق في تلك المرحلة، من مسافة خمسين عامًا، نشعر أن للأحداث روحًا، روحًا جماعية، لا مجرد أفعال متناثرة أو مشاركة تقنية باردة. لقد بُنيت تلك الروح من صدق الموقف، ومن زخم المشاركة الواسعة، ومن شعور الناس بأن هذا العمل منهم وإليهم، وأنه يعبّر عنهم ويحمل قضيتهم. وتشعر بهذه الروح، وتعيش تلك الأجواء، عند وصف دخول طلاب طمرة إلى قاعة المؤتمر الشعبي، وعند انطلاق المسيرة في سخنين بعد انتهاء المهرجان الشعبي، وفي تطور الأحداث، بشكل تلقائي أحيانًا وكردّ فعل على محاولات القمع أحيانًا أخرى، وفي شهادات الناس، وما إلى ذلك.

## الثقة والشرعية والقيادة

بُنيت شرعية قرار إضراب يوم الأرض مع اتساع الزخم الشعبي الاحتجاجي ضد مصادرة الأراضي وهدم البيوت ومخططات التهويد العنصرية. وقد بُني هذا التأييد الشعبي مع بناء الثقة مع القيادات القطرية والمحلية التي كانت في مقدمة المحتجين والمطالبين بوقف المصادرة وإرجاع الحقوق للناس، والتي عملت على تأطير المتضررين والناشطين، لا الاكتفاء بالتحدث باسمهم. وقد ساهم هذا التوجه في أن تتحول فئات واسعة من أبناء المجتمع، من عمال وفلاحين وطلاب ومشايخ ورجال دين وغيرهم، إلى فاعلين في هذا الحراك النضالي.

ويُظهر تتبّع تطور الأحداث، بشكل واضح، دور القيادة التي درست كل خطوة من جميع أبعادها، واهتمت بتوسيع دائرة القيادات، وأبرزت ذلك في منشوراتها، كي تؤكد أن هذا النضال هو ملك الجماهير كلها. كما يبرز توثيق النشاطات والأخبار مشاركة واسعة لشخصيات ووفود من شتى المدن والقرى والمناطق والطوائف، إلى جانب الشيوعيين وشركائهم من الشخصيات والقوى الوطنية. كذلك كانت أسماء أعضاء اللجان التحضيرية ولجنة الدفاع عن الأرض معروفة، ونُشرت في الوثائق والأخبار المختلفة. ومن اللافت أنه، رغم تسارع الأحداث داخل مجتمعنا، لم تُهمل قيادة حراك يوم الأرض العمل على الشارع اليهودي، ولا السعي إلى تجنيد قوى ديمقراطية داعمة لنضال العرب. وقد تجلى ذلك في المؤتمرات الصحفية الموجهة إلى الصحافة العبرية، وفي مشاركة متضامنين يهود في النشاطات الاحتجاجية، وفي تجنيد مثقفين داعمين لحقوق العرب.

وصحيح أن قسمًا من القرارات المتعلقة بيوم الأرض اتُّخذ في هيئات الحزب الشيوعي، لكن هذه القرارات ما كان لها أن تمر لولا الرؤية التي سعت إلى بناء تحالفات وشراكات وقواعد شعبية، والعمل ضمن أطر شعبية واسعة شملت كثيرين من الشخصيات والناشطين الذين كان لهم دور مهم في هذه السيرورة. وكان دور القيادات مهمًا على طول المسار الذي أدى إلى يوم الأرض، لكنه بدا حاسمًا في بعض المحطات، ومن أبرزها الموقف الذي قاده توفيق زياد، ومعه عدد من رؤساء السلطات المحلية، للتصدي لمحاولة إلغاء قرار الإضراب عبر رؤساء السلطات المحلية العربية، وهي المحاولة التي رافقها قمع بوليسي للمظاهرة الشعبية خارج بلدية شفاعمرو الداعمة للإضراب. هذا الصدام بين شرعيتين، شرعية المؤسسات الرسمية والسلطات من جهة، وشرعية الشعب من جهة أخرى، أظهر بوضوح أن الشرعية الشعبية كانت الأهم، وأنها هي التي امتلكت التأثير الحاسم.

### إنضاج الظروف لعودة الروح

لعلّ الدرس الأهم الذي يضعه يوم الأرض أمامنا اليوم هو أن النهوض مشروط بالقدرة على التسييس، وعلى تحويل الغضب وعدالة القضية إلى فعل جماعي منظم، طويل النفس، ومتجذر في الناس. وما شهدناه مؤخرًا، خلال الهبّة التي بدأت في سخنين كمبادرة فردية ثم ما لبثت أن اتسعت، وما أطلقته من حراك ورغبة شعبية في العمل النضالي لمواجهة ظاهرة الجريمة في مجتمعنا، حمل شيئًا مهمًا من تلك الروح التي طال انتظارها: روح المبادرة، والالتفاف حول الهمّ الجمعي، واستعادة الثقة بإمكانية الفعل والتأثير. لكن هل الظروف ناضجة اليوم لفعل سياسي بحجم يوم الأرض؟ وما الذي يجب فعله لإنضاج هذه الظروف؟

تعلّمنا دروس يوم الأرض الكثير عن أهمية العمل النضالي المنظم، والشعبي، والمدروس، والمسؤول. كما تؤكد أهمية وجود حزب سياسي منظم، له رؤية واسعة، وحضور شعبي، وقدرة على تأطير الناس وبناء الثقة معهم. في مجتمعنا اليوم أحزاب كثيرة، لكن الحياة الحزبية والسياسية تشهد، في تقديري، تراجعًا ملحوظًا، حتى بات عمل معظم الأحزاب محصورًا، إلى حد كبير، في الانتخابات البرلمانية، أو في الدور البرلماني والسياسي لقياداتها، إضافة إلى حالة الانقسام الآخذة بالاتساع بينها حول القضايا الجوهرية، وتراجع حضورها وتأثيرها في السلطات المحلية وفي المجتمع عمومًا. وكان يمكن لحالة التعددية الحزبية أن تسهم في تطوير المجتمع وتجنيده، لو طرحت الأحزاب رؤية سياسية واسعة، وعمّقت حضورها الشعبي، واتفقت فيما بينها على استراتيجية نضالية تتناسب مع حالتنا كأقلية مقموعة في وطنها، ضمن أوضاع محلية وإقليمية وعالمية بالغة التعقيد. كذلك فإن وجود هيئات تمثيلية فاعلة هو ضرورة في حالة مجتمعنا، ومن الضروري أن تعمل الأحزاب، إلى جانب سائر مركبات المجتمع، من سلطات محلية وجمعيات وحركات وحراكات متنوعة، على تعزيز مكانة هذه الهيئات وتأثيرها، وتطوير قدرتها على القيام بدورها الجامع والفاعل. وتزداد أهمية العمل المنظم اليوم بالذات في ظل الأخطار والتهديدات التي يعيشها مجتمعنا وشعبنا، فكل خطوة يجب أن تكون محسوبة. كما تزداد الحاجة إلى الاستمرارية والمثابرة في العمل داخل مجتمعنا، وفي مواجهة السلطات.

وتنشط في مجتمعنا اليوم أيضًا جمعيات عديدة، وهي ظاهرة أخذت تنمو في العقود الأربعة الأخيرة. ولكل منها أجندتها ومصالحها، ويلعب قسم منها دورًا مهمًا فعلًا. ومع ذلك، لا تستطيع الجمعيات أن تحل مكان الأحزاب، ولا مكان القيادات السياسية، ولا مكان العمل الشعبي، ولا مكان الهيئات التمثيلية. كما أن اتساع العمل الجمعياتي على حساب العمل السياسي والشعبي، الذي يشهد ضعفًا واضحًا، قد يضعف مجتمعنا، وقد يخدم، في بعض الحالات، مشاريع تسهم في إفراغ قضايانا من بعدها السياسي، علمًا أن قسمًا من الجمعيات الفاعلة في مجتمعنا يعمل رسميًا على دفع مشاريع سلطوية ترفضها القيادات العربية، وهو ما لا يصب، في نهاية الأمر، في تقوية مجتمعنا. لذلك، يصبح التفكير في كيفية بناء علاقة متكاملة بين الحزبي، والشعبي، والجمعياتي، والتمثيلي، على نحو يقوّي مجتمعنا ونضاله، مسألة ضرورية في ظل ما يعيشه مجتمعنا من ظروف وما يحيط به من تهديدات. ولا بد من الاشارة هنا الى ان هذه القضايا تتطلب تعمقا ويصعب الخوض في كل حيثياتها في هذه المقالة.

لقد كانت حالة الإجماع الكفاحي والشعبي، والشرعية التي تمتعت بها القوى التي قادت نضال يوم الأرض، وطروحاتها التي تناسبت مع نبض الجماهير وجهوزيتها، من أهم مفاتيح نجاحه. وفي واقعنا اليوم، هناك حاجة إلى دفعة كبيرة من العمل بين مركبات المجتمع المختلفة، لبناء هذه الحالة من جديد، ولإنضاج الظروف لأي نضال يتناسب مع حجم القهر الذي نعيشه. وهذا يتطلب مراجعة جريئة وعميقة لفحص مواقع ضعفنا، والعمل على معالجتها، وتطوير عملنا الجمعي، والاستفادة بشكل أفضل من إمكانات مجتمعنا وقدراته القائمة، وتعزيزها، ومن دروس يوم الأرض الأول التي ما تزال مهمة رغم مرور خمسين عامًا. عندها فقط يمكن لتلك الروح التي لاحت في سخنين أن تتحول من ومضة واعدة إلى سيرورة نضالية متماسكة، تقوّي مجتمعنا، وتعزز تماسكه، وتفتح أمامه إمكانات أوسع للعمل داخله وفي مواجهة المنظومة المهيمنة، بما يسهم في تغيير الواقع.

# من الجامعة إلى المعتقل: يوم الأرض في النقب كما عشناه

نسرين مرقس

حضرنا من مختلف المناطق إلى بئر السبع لندرس في الجامعة، لكن ما كان ينتظرنا هناك لم يكن الدراسة فقط، بل الانخراط في النضال حول القضايا التي تخص النقب، وفي مقدمتها القضية الأهم: قضية الأرض وسياسة الترحيل التي استهدفت أهل النقب، وإجبارهم على ترك أراضيهم وتركيزهم في مجمّعات حضرية، خلافًا لنمط حياتهم المعتاد. فقد نُقلوا قسرًا من الحياة البدوية إلى حياة مدنية، وهو ما أدى إلى مصادرة آلاف الدونمات من أراضيهم، التي أُقيمت عليها لاحقًا مطارات حربية، مثل أراضي تل الملح، ومعسكرات للجيش، إضافة إلى توسيع بعض المدن اليهودية في المنطقة.

وصلتُ إلى بئر السبع مباشرة بعد إنهاء الصف الثاني عشر. وكان ذلك في فترة شهدت نشاطًا طلابيًا وسياسيًا واسعًا؛ إذ كان طلاب الجامعة مع النشطاء النقباويين، وبقيادة الحزب الشيوعي، وعلى رأسهم الرفيق شحدة بن بري والرفيق المرحوم أبراهام زيليغ، يشكّلون حركة نشطة ومليئة بالحيوية، تنظم النشاطات الاحتجاجية دون كلل. وكان موضوع مصادرة أراضي تل الملح هو القضية الملتهبة آنذاك. وسمعت من الرفاق قصصًا عن نشاطاتهم الاحتجاجية ضد هذه المصادرة، التي بدأت حين حاصر الجيش السكان هناك بشريط من الأسلاك الشائكة تمهيدًا لطردهم.

كانت التحضيرات ليوم الأرض في النقب تقع على عاتق الطلاب، بقيادة لجنة الطلاب العرب وفرع الحزب في بئر السبع، لنقود وننفّذ قرارات لجنة الدفاع عن الأراضي، بالتشاور والتعاون مع أهلنا في النقب. نحن الطالبات والطلاب العرب من الجليل والمثلث، اتحدنا مع إخوتنا عرب النقب لنقود معًا النضال من أجل الأرض والكرامة. وكان الرفيق شحدة بن بري الذي رأس لجنة الطلاب بأواخر السبعينات وقيادة الحزب في الجنوب يرافقوننا في جميع النشاطات أضافة للجنة الطلاب العرب والتي كان يرأسها ببداية الثمانينات الدكتور ثابت أبو راس من قلنسوة ومن بعده الرفيق سالم سليمان من البعينة والتي كانت تتحمل وتقود الكثير من النضالات.

كانت التحضيرات للمهرجان المركزي ليوم الأرض في النقب تبدأ منذ بداية شهر آذار، وكثيرًا ما كنا نبقى طوال تلك الفترة في بئر السبع، دون العودة لزيارة الأهل في الشمال لكي نستغل نهايات الأسبوع في توزيع المناشير والدعوات لمهرجان يوم الأرض، الذي كان ينتقل كل سنة بين بلدات النقب: مرة في اللقية، وفي السنة التي تليها في رهط، ومرة في تل السبع.

ومن ذكرياتي أننا كنا نجتمع إما في نادي الحزب أو في إحدى الغرف في مساكن الطلبة، ثم نخرج مجموعات مجموعات ونتوزع في مناطق النقب المختلفة: مجموعة تنطلق إلى تل السبع، وأخرى إلى رهط، وثالثة إلى منطقة تل عراد، ومجموعة إلى التجمعات الواقعة على الطريق إلى ديمونة، وأخرى إلى اللقية، حيث تعرّفنا هناك على مجموعة من الطلاب الوطنيين والنشطاء جدًا، وأقمنا معهم علاقة تواصل دائم. وأكثر ما أثّر في حين وصلت إلى اللقية للمرة الأولى هو أنه في هذه البلدة البعيدة عن الجليل، حيث جرت أحداث يوم الأرض، كان قد أُقيم نصب تذكاري لشهداء يوم الأرض.

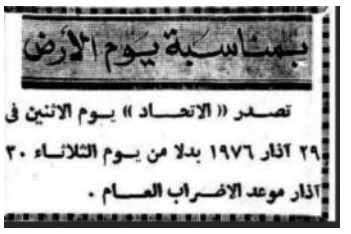

أضراب طلاب جامعة بن غوريون

بئر السبع – انتهك البوليس حرمة جامعة بن غوريون فدخل حرم الجامعة لتصوير الطلاب العرب المضربين تضامنا مع شعبهم في ٣٠-٣-٧٦ .

وكان الطلاب العرب في جامعة بن غوريون قد أعلنوا الاضراب في حرم الجامعة ووزعوا منشورا يحتجون فيه على المصادرة ، كما حملوا لافتات جاء فيها أن « السلام يبدأ هنا » ، « التهويد يعرقل مساعي السلام » ، « لسنا ضد التطوير بل ضد مصادرة أراضينا » .

وعند نشوب الاضراب استدعت الشرطة الطالب شحدة عطية الى مركز الشرطة لتهديده بوقف الاضراب ولما لم يوافق الطلاب على حل اضرابهم تدخلت الشرطة وقامت بالتقاط صور المضربين للتهديد .

وقد اثار هذا الانتهاك احتجاج عدد من الطلاب وأساتذة الجامعة اليهود ، واشترك في يوم الاضراب طلاب مدرسة تل السبع الاعدادية وكذلك طلاب مدرستها الصناعية .

أراضي محليا و.. المحكمة

الطلاب الجامعيون العرب يصرون على تشديد المعركة دفاعا عن الأرض

حيفا – مكتب الاتحاد – مجلس محلي معليا برياسة مسعد قسيس قرر تأجيل مؤتمر الاحتجاج الفطري الذي كان مقررا عقده في القرية بمعدد الاحد للمطالبة بالغاء أوامر مصادرة اراضي القرية . وقد جاء التأجيل بطلب من مستشار رئيس الحكومة السيد نوئيدائو .

وكان مستشار رئيس الحكومة للشؤون العربية قد دعا اليه وفدا من مجلس معليا . وتم الاتفاق بين الفريقين على تأجيل المعاكم المارة من قبل ادارة اراضي اسرائيل ضد سكان القرية الى ٣٠-٦-٧٦ . لكية اهالي القرية عن ارض مساحتها ١١ الف دونم . وبناء على هذا الاتفاق مع نوئيدائو ، قرر السيد مسعد قسيس تأجيل مبادرة المجلس لعقد المؤتمر الى اجل غير مسمى . قال مسعد قسيس لمراسلنا ان لقمة الارض تحيلت على اللجنة العليا لفض الخلافات بين ادارة اراضي اسرائيل والعرب .

وقد اثارت مناورة نوئيدائو سخطا عارما في اوساط السكان العرب الذين يرون في معالجة قضايا الارض عملية تخدير وتحطيم لوحدة الصف النضالية داخل المجالس المحلية العربية .

الطلاب العرب يطالبون بعقد المؤتمر

وعقد الطلاب العرب في الجامعة العبرية بالقدس اجتماعا تسميا في قاعة عندي الكيرة ، يوم الاثنين الماضي ، حضره جمهور من الطلاب والاساتذة اليهود ايضا . وقد استنكر الطلاب في هذا الاجتماع ، بشدة ، تأجيل مؤتمر معليا وطالبوا اللجنة الشعبية للدفاع عن الاراضي بتحديد موعد جديد للمؤتمر . وكانت اتحادات الطلاب العرب قد اعلنت التوقف عن الدراسة يوما واحدا على الاقل تضامنا مع معليا يوم الاحد القادم .

وتحدث في اجتماع الطلاب بالقدس البروفسور نوفل وهبة اللجنة الشعبية للدفاع عن الاراضي القى شعلة شعلة وسليما شبيب . وترأس الاجتماع رياض مفلح رئيس لجنة الطلاب العرب في الجامعة العبرية .

وقرر المجتمعون استنكار سياسة مصادرة الاراضي العربية ومطالبة اللجنة الشعبية للدفاع عن الاراضي بتنظيم الاعمال الاحتجاجية وتعبئة الجماهير العربية في معركة الارض المصيرية ومقاومة جميع المحاولات كان . ودعا الاجتماع الى مقاومة الاجتماعات الاستفزازية التي تحاول عرقلة نضال الجماهير العربية ومؤازرتها .

وقد اثارت مناورة نوئيدائو سخطا عارما في اوساط السكان العرب الذين يرون في معالجة قضايا الارض عملية تخدير وتحطيم لوحدة الصف النضالية داخل المجالس المحلية العربية .

وعقد مجلس محلي الكبر اجتماعا خاصا هذا الاسبوع قرر فيه استنكار مخطط الحكومة لمصادرة اراضي القرية . وعلم مراسلنا من اوساط سكرتارية اللجنة الشعبية للدفاع عن الاراضي انها سوف تعقد اجتماعا طارئا في الايام القريبة القادمة لبحث نتائج سياسة نهب الارض العربية .

وفد رؤساء مجالس عرابة وسخنين ودير حنا

هذا وقام وفد من رؤساء المجالس المحلية في سخنين وعرابة ودير حنا ، يوم الثلاثاء الماضي ، بمقابلة السيد يوسف كاسس ، مدير مكتب مستشار رئيس الحكومة للشؤون العربية ، وطالبوه بالغاء الحظر المفروض على ٩ اعضاء من اللجنة الشعبية للدفاع عن الاراضي العربية ، وامتنعت مصحبة «اقامة» امس ، ان الحكومة ، بعد ان قررت وقف منح التصاريح لاصحاب الاراضي لدخول المنطقة ، قررت اجلاء سكان المنطقة من عرب السواعد وتنظيم الى صواحي الناصرة وطبريا بغية الاستيلاء على اراضيهم . كما بدأت السلطات بوضع السياج حول مساحة ٥٠٠٠ دونم من هذه المنطقة . وكانت منطقة التمارين المذكورة تبلغ ( ٢٧٠٠٠ ) دونم ارض . وذكرت « دافار » ان منع التصاريح الى المنطقة وبرنامج نقل عرب السواعد يتصل بمخططات وزارة الدفاع والجيش .

وفد رؤساء مجالس عرابة وسخنين ودير حنا

هذا وقام وفد من رؤساء المجالس المحلية في سخنين وعرابة ودير حنا ، يوم الثلاثاء الماضي ، بمقابلة السيد يوسف كاسس ، مدير مكتب مستشار رئيس الحكومة للشؤون العربية ، وطالبوه بالغاء الحظر المفروض على ٩ اعضاء من اللجنة الشعبية للدفاع عن الاراضي العربية . وامتنعت مصحبة «اقامة» امس ، ان الحكومة ، بعد ان قررت وقف منح التصاريح لاصحاب الاراضي لدخول المنطقة ، قررت اجلاء سكان المنطقة من عرب السواعد وتنظيم الى صواحي الناصرة وطبريا بغية الاستيلاء على اراضيهم . كما بدأت السلطات بوضع السياج حول مساحة ٥٠٠٠ دونم من هذه المنطقة . وكانت منطقة التمارين المذكورة تبلغ ( ٢٧٠٠٠ ) دونم ارض . وذكرت « دافار » ان منع التصاريح الى المنطقة وبرنامج نقل عرب السواعد يتصل بمخططات وزارة الدفاع والجيش .

وبما أننا كنا طلاب جامعة فقراء الحال، وكان من المفهوم ضمنًا أننا لا نملك سيارات للتنقل بين البلدات، فقد كانت مجموعة من المقاولين العرب، الذين يعملون ويقيمون مع عائلاتهم في النقب، يقدّمون سياراتهم تبرعًا لدعم نشاطاتنا، ليس فقط في يوم الأرض، بل أيضًا في المعارك الانتخابية وغيرها من النشاطات.

ولأنني أتحدث عن مهرجانات يوم الأرض في بداية الثمانينيات، حيث لم تكن تتوفر منصات لائقة كما هو الحال اليوم، فقد كانت شاحنة كبيرة تُحوَّل إلى منصة، توضع عليها كراسي الخطباء والميكروفون، في ساحة مفتوحة في إحدى مناطق التجمعات البدوية في النقب.

ثم جاءت الاعتقالات...

كان من الواضح لنا آنذاك أن نشاطاتنا ونضالنا لم تكن لتروق للأجهزة الأمنية، التي كانت تراقب وتتابع كل تحركاتنا داخل حرم الجامعة وخارجه. ففي أسبوع التحضيرات لمهرجان يوم الأرض عام ١٩٨٣، توزّعنا في مجموعات، تضم كل منها ما بين خمسة إلى ستة طلاب، لتوزيع المنشورات والدعوة إلى مهرجان يوم الأرض الذي كان مقررًا إقامته في مدينة رهط.

كنتُ ضمن المجموعة التي وصلت إلى تل السبع. بدأنا بتوزيع المنشورات في الشارع الرئيسي وبالقرب من المدرسة الثانوية، لكن بعد وقت قصير وصلت سيارات الشرطة لإيقافنا عن التوزيع. وأذكر نقاشي الساذج حينها مع رجال الشرطة حول حقنا في التعبير عن رأينا وتوزيع المناشير والدعوة للمهرجان. لكنهم لم يأتوا ليستمعوا إلى «محاضرتي» عن حرية التعبير؛ فقد اعتقلونا انا وطالبين كانا معي بينما اختلط آخرون بطلاب المدرسة ولم يتم التعرف عليهم.

عندما نقلونا إلى مركز الشرطة في بئر السبع أنا وزملائي، قالوا لي إنه يمكنني الاتصال بأهلي لإبلاغهم باعتقالي. اتصلت، فردّت والدتي، وكان ردها الحرفي: «لماذا أنتِ وحدك فقط؟ لماذا لم يعتقلوا روضة أيضًا؟!» وروضة هي أختي، التي كانت تدرس في الجامعة آنذاك أيضًا، وكانت ضمن مجموعة أخرى ذهبت لتوزيع المناشير في منطقة مختلفة.

لم تكن مجموعة تل السبع وحدها المستهدفة بالاعتقال؛ إذ تبيّن لاحقًا أن دوريات الشرطة أُرسلت إلى معظم أماكن التوزيع التي تواجد فيها الطلاب. وهكذا، ونحن في غرف الاعتقال التي كانت تطل على الساحة الداخلية لمركز الشرطة، كنا نستقبل كل بضع ساعات مجموعة جديدة من الزملاء. وفي اليوم التالي أيضًا أُحضر الطلاب الذين كانوا معتقلين في مركز الشرطة في مدينة عراد.

وهكذا تجمعنا في مركز الشرطة في بئر السبع نحو ٢٢ طالبًا وطالبة، وكنا ثلاث طالبات بين المعتقلين. قضينا هناك ثلاث ليال لم تهدأ خلالها أصواتنا، ونحن ننشد ونغني الأغاني الثورية، خاصة بعد أن علمنا من قيادة لجنة الطلاب العرب، التي جاءت لزيارتنا، أن المهرجان سيقام كما هو مخطط، وأن النشطاء في النقب ورفاق الحزب يواصلون التحضيرات.

أبقونا رهن الاعتقال حتى بعد انتهاء المهرجان، الذي وصلنا أنه كان ناجحًا جدًا، وشارك فيه خطباء من النقب ومن قيادة لجنة الدفاع عن الأراضي، من بينهم صليبا خميس والرفيق عوزي بورنشطاين والشاعر الكبير سميح القاسم وغيرهم.

اليوم، بعد كل تلك السنوات، لا زالت تلك الأيام تعود إلى الذاكرة بوضوح. يوم الأرض لم يكن بالنسبة لنا مجرد ذكرى أو مناسبة سنوية، بل تجربة حياة شكّلت وعينا ودورنا بالنضال الشعبي والالتحام مع شعبنا وقضاياه، ذكرى مهمة لمن يريد ان يتناسى وينكر دور الحزب الشيوعي الذي استطاع أن يكون قوة سياسية اعطت يوم الارض مضمونا سياسيا وطنيا عميقا وكان القوة المنظمة ليوم الارض.

*** السكرتيرة العامة لحركة النساء الديموقراطيات.**

# محطات حاسمة نحو يوم الأرض

أهم ما ميز يوم الأرض هو التخطيط المحكم والمسبق له، على مدار أشهر طويلة من التجنيد والتنظيم، من منطلق القناعة بأهمية خوض نضال طويل المدى بمواجهة سياسات مصادرة الأرض التي أدت منذ قيام دولة إسرائيل وحتى مطلع السبعينيات إلى مصادرة أكثر من مليون دونم من أراضي القرى العربية في البلاد، إضافة إلى ملايين الدونمات المصادرة من أراضي القرى المهجّرة.

**فيما يلي أهم المحطات بالتصدي لهذه السياسات وصولا إلى يوم الارض:**

### ٢٩ تموز ١٩٧٥

عقد بمبادرة الحزب الشيوعي وشخصيات وطنية ومستقلة اجتماع في ٢٩ تموز في نادي الأخوة بمشاركة ممثلين عن قرى ومدن عربية وشخصيات يهودية ديمقراطية، تقرر فيه التحضير لمؤتمر شعبي شامل.

### ١٨ تشرين الأول ١٩٧٥

عقد المؤتمر في الناصرة وأُعلن فيه عن تأسيس اللجنة القطرية للدفاع عن الأراضي العربية برئاسة القس شحادة شحادة، لتقود النضال ضد سياسات المصادرة.

### ٢ كانون الأول ١٩٧٥

أصدر المكتب السياسي للحزب الشيوعي بيانًا دعا فيه إلى التصدي الواسع لسياسة المصادرة، ما ساهم في رفع مستوى التعبئة الجماهيرية.

### ٦ كانون الثاني ١٩٧٦

عقدت اللجنة القطرية اجتماعًا في الناصرة وقررت إعلان إضراب عام في ٣٠ آذار إذا لم تتراجع الحكومة عن مخططاتها لمصادرة الأراضي، وهي المرة الأولى منذ النكبة التي تبادر فيها الجماهير العربية في البلاد لإضراب عام.

### ٢٩ شباط ١٩٧٦

أعلنت الحكومة مصادرة نحو ٢١ ألف دونم من أراضي سخنين وعرابة ودير حنا وعرب السواعد في منطقة البطوف، ما أدى إلى تصاعد الاحتجاجات.

### في ١٤ آذار ١٩٧٦

عُقد مؤتمر جماهيري حاشد في سخنين شارك فيه أكثر من خمسة آلاف شخص، وتواصلت بعدها الاجتماعات الشعبية في القرى والمدن العربية رغم الضغوط والتهديدات.

### ٢٥ آذار ١٩٧٦

دعت السلطات الاسرائيلية إلى اجتماع في شفاعمرو لرؤساء المجالس المحلية العربية بهدف الضغط لإلغاء الإضراب، إلا أن رئيس بلدية الناصرة توفيق زياد رفض التراجع مؤكدًا أن الشعب هو صاحب القرار وأنه قرر الإضراب وقد دعم هذا الموقف ١١ رئيسا كما أن المئات من النشطاء، خاصة من الشبيبة الشيوعية، أحاطوا مبنى البلدية دفاعًا عن القرار، واندلعت مواجهات مع الشرطة دون أن تنجح في كسر الإرادة الجماهيرية.

### ٢٩ آذار ١٩٧٥

عُقد مؤتمر صحفي في بيت سوكولوف أعلن فيه رسميًا الإضراب العام، وفي الليلة نفسها بدأت القوات باقتحام القرى التي عرفت فيما بعد بمثلث يوم الأرض وسقط أول الشهداء: خير ياسين.

### ٣٠ آذار ١٩٧٦

عمّ الإضراب الشامل مختلف البلدات العربية، وحاولت السلطات كسره بالقوة، ما أدى إلى اندلاع مواجهات عنيفة وأسفرت عن استشهاد ستة من أبناء الشعب الفلسطيني: خير ياسين، خديجة شواهنة، خضر خلايلة، رجا أبو ريا، محسن طه، ورأفت زهيري، إضافة إلى مئات الجرحى والمعتقلين.

رسخ يوم الأرض في الذاكرة لنجاحه بإسقاط مخطط المصادرة ولكونه شكل محطة فارقة انتقلت فيها الأقلية القومية الفلسطينية في البلاد من نفسية الخوف والنكبة إلى المواجهة والتحدي.

# شهداء يوم الأرض

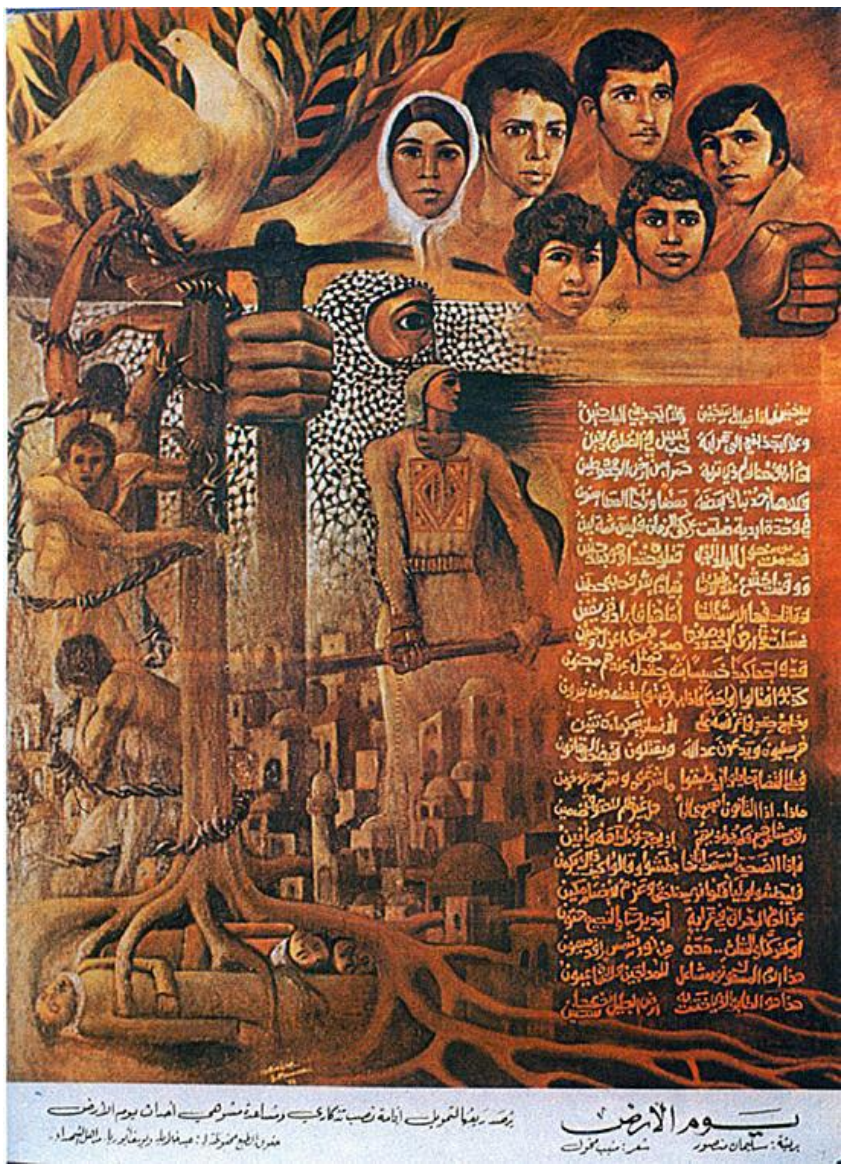


### خير حسين ياسين (عرابة):

استشهد عشية يوم الأرض حين اقتحمت القوات الاسرائيلية بلدات البطوف لترهيب الناس وكسر الإضراب.

### خديجة قاسم شواهنة (سخنين):

قتلت بالرصاص حينما حاولت أن تعيد إلى المنزل أخاها خالد (٩ سنوات) بعدما خرج للعب بجوار البيت.

### خضر عبد محمود خلايلة (سخنين):

حينما حاول مع والده مساعدة المعلّمة آمنة عمّار المصابة برصاص الشرطة، أُصيب هو أيضا بعيار ناري في رأسه وآخر في كتفه، فاستشهد على الفور.

### رجا حسين أبو ريا (سخنين):

كان يوم استشهاده في الثلاثين من عمره، متزوّجًا وله أربع بنات صغيرات. أُصيب بعيار ناريّ قرابة الساعة التاسعة صباحًا أثناء وقوفه عند مدخل بيته، وفارق الحياة.

### محسن حسن سعيد طه (كفركنّا):

اقتحمت قوات الشرطة البلدة وأطلقت النار في كلّ اتجاه، فأُصيب بعيار ناري وأُردي شهيدًا.

### رأفت علي زهيري:

من مخيم نور شمس في الضفّة الغربيّة المحتلّة. أصيب واستشهد في الطيبة في المثلث الجنوبي حيث كانت الشرطة تطلق النار وتعتدي على الأهالي.

## لجنة الهندسيين العرب في التنخيون

هذا ووصلت الى « الاتحاد » رسالة من لجنة الهندسيين العرب في التخيون بحيفا جاء فيها : « في الوقت الذي تتعرض فيه البقية الباقية من اراضينا الحبيبة لمخطط السلب والنهب وبالذات اراضي قرى معليا وكفرقاسم وعرابة ودير حنا وسخنين الصامدة ، لا يسع لجنة الهندسيين العرب في التخنيون الا ان ترفع صوتها صارخة أن ارفعوا ايديكم عن اراضي قرانا الصامدة وعن اراضينا في الجليل والمثلث والنقب والضفة والجولان . فلا تهويد ولا تشريد وعن اراضينا ما ينجيد » .



الاتحاد
27/3/2026
ملحق خاص على شرف
يوم الأرض 50

# الأرض، الهوية، والنضال الجماعي للفلسطينيين في إسرائيل

د. سامر سويد*

في صباح ٣٠ آذار ١٩٧٦، استيقظت البلدات العربية في إسرائيل على إضراب عام شهد جميع مرافق الحياة، والغالبية العظمى من المواطنين العرب الفلسطينيين في إسرائيل، وأيضاً على صوت مكبرات الصوت العسكرية التي أعلنت فرض حظر تجول ومنع الخروج من المنازل في ما عُرف لاحقاً بمثلث يوم الأرض: سخنين وعرابة ودير حنا. لم يكن ذلك مجرد إجراء أمني، بل كان الشرارة ليوم سيُكتب اسمه بأحرف من دم في ذاكرة الشعب الفلسطيني: وهو يوم الأرض الخالد. خلال ساعات، اندلعت مواجهات بين القوات الإسرائيلية ومواطنين عرب دافعوا عن أراضيهم. انتهت بمقتل ستة شبان، ثلاثة في سخنين، وآخرون في عرّابة وكفر كنا، وشاب من مخيم عين شمس في الضفة الغربية قتل في الطيبة.

هذه الأحداث لم تقع فجأة. فقد كانت ثمرة سنوات من السياسات الحكومية لمصادرة الأراضي العربية، ومن تعبئة سياسية واجتماعية مضنية قادها الفلسطينيون داخل إسرائيل، وعلى رأسهم رئيس بلدية الناصرة توفيق زيّاد، الشاعر والسياسي الذي أصبح رمزاً للحدث.

## البذور السياسية: جبهة الناصرة الديمقراطية والحزب الشيوعي

في منتصف الستينيات، شهد الحزب الشيوعي انقساماً داخلياً، ما أدى إلى تأسيس القائمة الشيوعية الجديدة (راكاح)، (أي الحزب الشيوعي الذي بقي إذ اندثر الذي انقسم - المحرر) وركز على البعد الفلسطيني ضمن الحركة الشيوعية، محوّلا التركيز من حزب يهودي-عربي إلى حزب عربي-يهودي. خلال السبعينيات، حرص الحزب الشيوعي على توسيع قاعدة الدعم بين العرب عبر دائرة العمل البلدي، التي أعدّت مواد دعائية وقدّمت استشارات للممثلين المحليين، وأسست ائتلافات في البلدات العربية لتعزيز التعاون مع القوى الوطنية المحلية المستقلة.

في عام ١٩٧٤، تأسست جبهة الناصرة الديمقراطية كائتلاف يضم الحزب الشيوعي، الأكاديميين، التجار وأصحاب الحرف. كان الهدف الأولي إنهاء عمل اللجنة المعيّنة في الناصرة والدفع نحو انتخابات بلدية ديمقراطية. تولى رئاسة القائمة أنيس كردوش الذي توفي قبل الانتخابات، بعدها تولى الشاعر وعضو الكنيست توفيق زيّاد رئاسة الجبهة، ليصبح شخصية محورية في قيادة نضال الأرض والسياسة المحلية. في انتخابات ديسمبر ١٩٧٥، فازت الجبهة بأغلبية ساحقة، وحصل زيّاد على رئاسة البلدية، ليمنح الناصرة لقب «العاصمة المعنوية للفلسطينيين في إسرائيل»، ممهداً الطريق ليوم الأرض.

## مصادرة الأراضي وتصعيد الأزمة

أشعلت الحكومة فتيل الأزمة في عام ١٩٧٥، عندما أعلنت عن مصادرة ٢١,٥٠٠ دونم في الجليل، خصوصاً في سخنين وعرّابة ودير حنا، ضمن «مشروع تطوير الجليل» - الاسم الرسمي لتهويد الجليل، الذي استهدف رفع نسبة السكان اليهود مقابل العرب. هذه السياسة أثارت غضباً واسعاً، وأدت إلى تحرك الحزب الشيوعي والمبادرة إلى إقامة لجنة للدفاع عن الأراضي بمشاركة شخصيات وطنية مستقلة. هذه اللجنة تشكلت بداية في اجتماع في حيفا في حزيران ١٩٧٥، وقامت بعدة خطوات شعبية وتعبوية حتى توسعت وتشكلت نهائياً في اجتماع شعبي في الناصرة هو الأكبر منذ النكبة في شهر تشرين أول ١٩٧٥، وتم انتخاب القسيس شحادة شحادة رئيساً لها وصليبا خميس سكرتيراً. نظّمت اللجنة المؤتمرات المحلية في العديد من البلدات ولوّحت لأول مرة بإمكانية الإضراب العام إذا لم تتراجع الحكومة عن قراراتها. مع مصادرة ٢٠,٠٠٠ دونم إضافية في آذار ١٩٧٦، تم تحديد ٣٠ آذار يوم الأرض موعداً لإضراب عام شامل في جميع البلدات العربية.

## صباح يوم الأرض: المواجهة والدم

في صباح ذلك اليوم، اجتاحت قوات الجيش والشرطة البلدات العربية في منطقة البطوف، واقتحمت منزل توفيق زيّاد، واعتدت على أفراد عائلته، واندلعت مواجهات دموية أسفرت عن استشهاد ٦ شهداء. رغم العنف والقتل، حافظ الإضراب على رمزيته السلمية والوطنية والجماعية، وأضرب العمال العرب عن العمل في كل أماكن عملهم التي كان غالبيتها خارج البلدات العربية في مصانع ومرافق تشغيلية في بلدات يهودية، مما شلّ الحركة الاقتصادية للدولة وأوصل الرسالة لكل المواطنين من العرب واليهود. بعدها خُلّدت ذكرى الضحايا، ليصبح يوم الأرض حدثاً سنوياً يُحييه الفلسطينيون في كل أماكن تواجدهم.

## يوم الأرض من منظور النصوص والوثائق

أحد النصوص التأسيسية هو بيان اللجنة القطرية للدفاع عن الأراضي (١٩٧٥)، الذي أدان المصادرات واعتبرها انتهاكاً للحقوق المدنية والوطنية. شدد البيان على المساواة بين العرب واليهود، وحماية ملكية الأراضي، وتوسيع صلاحيات السلطات المحلية، ودعا القوى اليهودية التقدمية للتضامن مع النضال والعمل داخل البرلمان الإسرائيلي.

بعد يوم الأرض، صدر «الكتاب الأسود»، الذي جمع وثائق ومحاضر وشهادات حول الأحداث. وقد أشار الكتاب إلى أن يوم الأرض كان يوم كرامة وطنية، بينما بقي يوماً مخزياً بالنسبة للسلطات التي حاولت قمع الاحتجاج.

## بناء الهوية الجماعية

بحسب مقابلات ودراسات استطلاعية أجريتها مع العديد من الشخصيات القيادية التي واكبت الحدث، أصبح يوم الأرض محطة مفصلية للهوية الفلسطينية داخل إسرائيل، وأكدوا أن الحدث صاغ ثقافة سياسية جديدة تقوم على الوحدة والمصير المشترك، وأسهم في تأسيس أطر تمثيلية مثل لجنة رؤساء السلطات المحلية التي كانت قائمة وباتت هيئة وطنية، ولجنة الدفاع عن الأراضي، ولجنة المتابعة العليا للجماهير العربية.

كما أظهر استطلاع أجري بعد خمسة أشهر من الحدث دعماً واسعاً للإضراب: ٥٧٪ أيدوا الإضراب، و٢٥٪ تحفّظوا، و١٥٪ عارضوا. كما أبدى ٥٩٪ موقفاً نقدياً من خطة «تطوير الجليل»، مؤكدين وعيهم بمخاطر المشروع على المجتمع العربي.

## القيادة السياسية: الحزب الشيوعي ويوم الأرض

لعب الحزب الشيوعي دوراً محورياً، إذ توسعت اللجنة القطرية لتضم قوى وطنية مستقلة ورؤساء سلطات محلية، متجاوزة القيود المؤسسية. أسهم يوم الأرض في تأسيس الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة، التي ضمّت قوى عربية غير شيوعية، مع تعاون محدود مع حركة «الفهود السود». في انتخابات ١٩٧٧، حصلت الجبهة على ٥١٪ من أصوات العرب، فيما تراجعت القوائم التابعة لأحزاب السلطة إلى ٢١٪.

## توفيق زيّاد: العمود الفقري ليوم الأرض

يُعدّ زيّاد الشخصية الأكثر ارتباطاً بالحدث، إذ استطاع بخطابه وكاريزميته تجاوز القيود المؤسسية وإعادة تشكيل المشهد السياسي، كما ساهم في تأسيس الجبهة وتعزيز مكانته كممثل مركزي للجمهور العربي. توفيق زياد لم يكن من النواة الأولى لتحضير يوم الأرض، ولكن مع انتخابه لرئاسة بلدية الناصرة وعضويته في اللجنة القطرية لرؤساء السلطات المحلية العربية عرف كيف ينقل كل اللجنة إلى لجنة ممثلة للجماهير العربية أمام السلطة، وليس كما أرادتها السلطة لجنة لتمثلها أمام الجماهير. ولعل الحدث العيني الأبرز في هذا السياق هو اجتماع شفاعمرو الذي سبق يوم الأرض بخمسة أيام، أرادت منه السلطة أن يتم إلغاء الإضراب، ووقف زياد عند بداية الاجتماع معلناً أن الشعب قرر الإضراب وأن هذه اللجنة غير مخولة بإلغاء الإضراب، مما أدى لاحقاً إلى انتهاء الاجتماع بعراك ومحاولات من أعوان السلطة لاقتحامه. لم يتم التصويت فعلياً على الإضراب، لكن إلى جانب زياد وقف ١١ رئيس سلطة محلية داعمين للإضراب، وليس صدفة أن السلطات قررت اقتحام بيت توفيق زياد في صباح يوم الأرض.

## الأرض كرمز ومطلب

يوم الأرض لم يكن مجرد إضراب احتجاجي؛ بل كان حدثاً تأسيسياً للهوية والوعي السياسي. فقد جمع بين المطالبة بالأرض كحق مدني ومطلب اقتصادي، وبين كونها رمزاً للانتماء الوطني، ما أعطى الحدث قوة رمزية استثنائية. بعد يوم الأرض، تراجعت مصادرات الأراضي بشكل كبير، وأصبحت تُنفّذ ضمن قوانين التخطيط والبناء، مع إجراءات شفافة وإمكانية الاعتراض والتعويض. لا يمكن القول إن المصادرات توقفت بعد يوم الأرض، ولكن استعمال قانون الأراضي الانتدابي للمصادرة لم يعد كما كان، حيث إن غالبية الأرض العربية المصادرة صودرت قبل يوم الأرض.

## الخلاصة

يمكن القول إن نجاح النضال الفلسطيني داخل إسرائيل لا يمكن أن يحدث دون خلق نقطة توازن بين الهم الوطني والهم المدني، أي بين كون الجماهير العربية جزءاً من الشعب الفلسطيني من جهة وجزءاً من المواطنين في إسرائيل من الجهة الأخرى، وقد نجحت قيادة يوم الأرض في خلق هذا التوازن بين الطموحات الوطنية والمدنية للفلسطينيين داخل إسرائيل، من خلال خطاب يجمع بين الأرض كحق مدني وكرمز وطني، مع الانفتاح على الشراكات والتأثير على الرأي العام اليهودي. هذا الحدث أعاد تشكيل الخريطة السياسية، من خلال تراجع قوائم السلطة أي «القوائم التابعة» للأحزاب الحاكمة التي كانت تحظى بغالبية أصوات العرب في انتخابات الكنيست. في انتخابات عام ١٩٧٧ تراجعت هذه اللوائح إلى ٢١٪ من عدد الأصوات، وصعدت أطر تمثيلية جديدة تعكس الهوية الجماعية للفلسطينيين، أبرزها الجبهة التي حصلت على ٥١٪ من أصوات المواطنين العرب. بعدها في انتخابات ١٩٨١ لم تستطع قوائم السلطة عبور نسبة الحسم واختفت من المشهد السياسي. في نفس الانتخابات نافست ونجحت القائمة التقدمية باجتياز نسبة الحسم إلى جانب الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة التي ما زالت القوة السياسية الأكثر ثباتاً في المجتمع العربي الفلسطيني في إسرائيل.

علاوة على ذلك، يوم الأرض هو مثال ناجح يجب التعلم منه في التنظيم السياسي والاجتماعي، حيث إن التحضير له بدأ تسعة شهور قبل الحدث نفسه، وتمت تعبئة الجماهير وتجنيدها لأخذ مسؤولية على إنجاحه من خلال نشاطات توعوية واجتماعات محلية وقطرية ومواد إعلامية ونشرات متنوعة ساهمت في تحشيد الجماهير. كما أن لجنة الدفاع عن الأراضي هي نموذج للجنة تمثيلية وطنية لكافة القوى، فمع أن الحزب الشيوعي وشخصيات مستقلة كانوا الدينامو من أجل إنجاح الحدث، إلا أن واجهته كانت لجنة الدفاع عن الأراضي، إطار تمثيلي غير حزبي نجح باستقطاب شخصيات وطنية مستقلة إلى جانب الحزب الشيوعي. وأخيراً، هذه اللجنة أصدرت بعد يوم الأرض «الكتاب الأسود»، وهو كتاب توثيقي يعرض رواية الفلسطينيين في إسرائيل حول الحدث، وهو كتيّب طبع في مطبعة الاتحاد وضم شهادات حيّة وبيانات تأسيسية، ووزع على الناس في كل بلداتنا.

نهاية، هذا اليوم نجح في خلق التوازن في الخطاب السياسي، والتحشيد والتنظيم والتوثيق، وهي كلها عبر نستطيع أن نتعلم منها أكثر من أي تجربة في أي مكان في العالم. تجربتنا نحن، نجاحنا نحن، وممكن استثمارها من أجل مستقبلنا نحن أيضاً بعد خمسين عاماً.

***المدير العام للمركز العربي للتخطيط البديل، هذا المقال هو تلخيص لفصل من رسالة الدكتوراه حول «الخطاب السياسي لدى الفلسطينيين في إسرائيل» التي قدمها الكاتب في جامعة حيفا عام 2021.**

هذا اليوم نجح في خلق التوازن في الخطاب السياسي، والتحشيد والتنظيم والتوثيق، وهي كلها عبر نستطيع أن نتعلم منها أكثر من أي تجربة في أي مكان في العالم. تجربتنا نحن، نجاحنا نحن، وممكن استثمارها من أجل مستقبلنا نحن أيضاً بعد خمسين عاماً.

# الجدّ، الحفيد، والقضية الفلسطينية

تمار غوجانسكي

تشكل سياسة مصادرة أراضي المواطنين العرب موضوع الاحتجاج الشعبي في يوم الأرض، الذي يُحييه الجمهور الواسع منذ عام ١٩٧٦. وفي هذه المقالة سأتناول السؤال الآتي: هل وُجد، في أوساط اليهود الذين عرّفوا أنفسهم بأنهم صهاينة، من عارضوا المسار الطويل الأمد المتمثل في اقتلاع الفلاحين العرب من الأراضي التي فلحوها؟ وفي هذا السياق سأتوقف عند شخصين: جدّ وحفيده.

كان الجد هو يتسحاق إبشتاين (١٨٦٢-١٩٤٣)، الذي قدِم، بوصفه صهيونيًا، من روسيا إلى البلاد عام ١٨٨٦، في زمن الحكم العثماني. وقد عمل مربّيًا وباحثًا في اللغة العبرية. وبعد نحو عشرين عامًا شارك في المؤتمر الصهيوني الخامس (١٩٠٧). وقد خصص خطابه في المؤتمر لعلاقة اليهود بالعرب، أو، بحسب التعبير العبري السائد آنذاك: «مسألة علاقتنا بالعرب». ونُشر خطابه في مقال بعنوان «مسألة غائبة» في مجلة «هشيلواح» في أيلول/سبتمبر ١٩٠٧.

أما الحفيد فكان ألوف هرئيفن (١٩٢٦-٢٠١٦)، خدم في الجيش الإسرائيلي حتى عام ١٩٦٤ وتقاعد برتبة مقدّم. ثم خدم لاحقًا في «الموساد» وعمل في وزارة الخارجية، وأدار مركز ديان في جامعة تل أبيب، وكان من بين مؤسسي «المجلس من أجل السلام والأمن»، كما أسس وأدار جمعية «سيكوي» للمساواة المدنية لعرب إسرائيل، وجمعية «بين إنسان وإنسان». وقد نشر هرئيفن كتبًا وحرر مؤلفات جماعية. وفي عام ١٩٨١ حرر الكتاب: «واحد من كل ستة إسرائيليين: العلاقات المتبادلة بين الأقلية العربية والأكثرية اليهودية في إسرائيل» (منشورات معهد فان لير). وفي الكتاب المعنون «الهجرة الثانية، ١٩٠٣-١٩١٤» ، تناول هرئيفن خطاب/مقال جدّه من عام ١٩٠٧. وكان عنوان مقال هرئيفن: «المسألة التي لا تغيب».

لنعد إلى يتسحاق إبشتاين. فقد كان إبشتاين، في أوساط التيارات الصهيونية، أول من حذّر قائلًا: «إننا نولي اهتمامنا لجميع شؤون بلادنا، ونناقش كل شيء ونجادل فيه، ونمدح كل شيء وندمّه، لكننا نسينا أمرًا واحدًا، مع أنه ليس بالأمر الهيّن: أن في هذه الأرض شعبًا كاملًا، تشبّث بها مئات السنين، ولم يخطر بباله يومًا أن يتركها». ثم مضى فرفض باشمئزاز الأحكام المسبقة السائدة بين الصهاينة، والتي تقول إن البلاد قاحلة وإن العرب كسالى، فكتب: «لا توجد حقول مهجورة، بل على العكس، فكل فلاح يسعى إلى أن يضيف إلى قطعة أرضه من الأرض البور المجاورة لها ما أمكن، إذا لم تكن تتطلب جهدًا زائدًا. وقرب المدن يحرثون حتى منحدرات الجبال الشديدة الانحدار، وفي محيط مستوطنة المطلة يزرع الفلاحون الفقراء، كما في لبنان، بين الصخور، ولا يتركون في الجبل شبرًا على شبر دون زرع».

ويقرر إبشتاين أن شراء الأرض من أصحاب «الضيعة» هو، من الناحية الشكلية، صفقة، «لكن إذا لم نرد أن نخدع أنفسنا بالتسليمات الجاهزة، فعلينا أن نعترف بأننا قد ألقينا بأناس بؤساء خارج أعشاشهم المتواضعة، وكسرنا عصا خبزهم». ثم حذّر لاحقًا قائلًا: «أفلا ينهضون في نهاية المطاف ليستعيدوا بقوة القبضات ما سُلب منهم بقوة الذهب!».

وبوصفه صهيونيًا ساذجًا إلى حد بعيد، أيد إبشتاين بحماسة استيطان اليهود، وكان مقتنعًا بأن هذا الاستيطان سيفيد السكان العرب بمساعدة خبراء مثل المهندسين الزراعيين والأطباء. ومن هنا كانت اقتراحاته تقوم على التعامل مع العرب وفق مبدأين: أولهما، احترام المساواة المطلقة بين البشر والأخوّة الإنسانية، وكذلك الحقوق القومية لكل أمة؛ وثانيهما، أن يكون المرء «أخًا في الفكر والعمل لجميع الشعوب التي تنهض إلى الحياة، متعاملًا بمحبة ورغبة مع تطلعاتها، ومطوّرًا في أوساطها، عند الاحتكاك بها، وعيها القومي».

ويشير الحفيد، هرئيفن، في مقاله، إلى أن كلمات جدّه كُتبت «في أوج المرحلة الكولونيالية، التي كان من المقبول فيها في أوروبا، ولدى أبناء أوروبا، النظر إلى ثقافتهم بوصفها ذروة الحضارة التي ينبغي تصديرها إلى قارات أخرى». وبرأي هرئيفن، فإن «تصورات إبشتاين في المجال الثقافي تبدو اليوم قديمة الطراز، بل ومتغطرسة». لكنه يضيف أن «كلماته، في ما يتصل بالعرب أنفسهم وبحقوقهم، لا تزال حتى يومنا هذا مشبعة بالمعنى».

ويرى هرئيفن أن ثمة خمس رسائل ينبغي استخلاصها من مقال جدّه يتسحاق إبشتاين: الأولى، «أن هناك شعبًا آخر مرتبطًا بهذه البلاد بروابط عميقة»؛ والثانية، أن الاعتراف بالعرب بوصفهم شعبًا يعني ضرورة التوصل إلى تسوية معهم، وأن مثل هذه التسوية ترتبط أيضًا بالعلاقات مع سائر الشعوب العربية؛ والثالثة، «ضرورة الاعتراف بأن الاستيطان اليهودي يسبب ضائقة للعرب الذين يفقدون، نتيجة لذلك، أراضيهم، ووجوب مواجهة هذه الضائقة ومحاولة البحث لها عن حل»، والرابعة، أن الحل يجب أن يقوم على أساس العدالة والقانون والمساواة المطلقة والأخوّة الإنسانية، والخامسة، «ضرورة تطوير منظومة تعليم منفتحة تكون، بحكم طبيعتها، مستعدة لمواجهة هذه الأسئلة».

وفي مقاله، أشار هرئيفن إلى أن الجمهور اليهودي، حتى في ثمانينيات القرن العشرين، ما زال يواجه صعوبة في مجرد الاعتراف بوجود مسألة العلاقة مع العرب: أي الاعتراف بهم شعبًا جارًا وبما يعانونه من ضائقات؛ ومواجهة السؤال عمّا تستند إليه الهوية اليهودية لإسرائيل، إلى القوة أم إلى أسس القانون والعدالة والمساواة المدنية ؟، وكذلك مواجهة الجهل والأحكام المسبقة تجاه العرب.

لقد مضت الأعوام: نحو ١٢٠ عامًا انقضت منذ نشر يتسحاق إبشتاين مقاله، و٤٢ عامًا منذ نشر حفيده، ألوف هرئيفن، مقاله. وفي آذار/مارس ٢٠٢٦، فيما تدير إسرائيل حروبًا في إيران ولبنان، وفيما تعزز وجودًا عسكريًا احتلاليًا في نصف مساحة قطاع غزة، وفيما اجتاحت وحدات من جيشها سوريا، وفيما تتكر حكومة اليمين الفاشي إنكارًا تامًا مجرد وجود شعب فلسطيني وتشجع حملة تدمير يومية ضد الفلسطينيين في الضفة الغربية–حتى الأسئلة التي أثارها في زمانهما يتسحاق إبشتاين وألوف هرئيفن قد مُسحت من جدول أعمال أغلبية الجمهور اليهودي في إسرائيل.

ولا يزال من المهم والضروري، اليوم أيضًا، خوض معركة سياسية وفكرية ضد الصهيونية بوصفها رؤيةً للعالم وممارسةً سياسية. لكن من الحيوي، في الوقت نفسه، التعاون مع صهاينة يعترفون بوجود الشعب الفلسطيني وبحقوقه، ويعارضون الحروب والاحتلال، ويدعمون إقامة دولة فلسطينية مستقلة عاصمتها القدس الشرقية، إلى جانب إسرائيل.

اجتماع شعبي سبق يوم الأرض 1976 – أرشيف

لا يزال من المهم والضروري، اليوم أيضًا، خوض معركة سياسية وفكرية ضد الصهيونية بوصفها رؤيةً للعالم وممارسةً سياسية. لكن من الحيوي، في الوقت نفسه، التعاون مع صهاينة يعترفون بوجود الشعب الفلسطيني وبحقوقه، ويعارضون الحروب والاحتلال، ويدعمون إقامة دولة فلسطينية مستقلة عاصمتها القدس الشرقية، إلى جانب إسرائيل.

# يوم الأرض

المجـــد والخـــلود

خير ياسين

خديجة شواهنة

رجا أبو ريّا

50

# لشـــهدائنا الأبـــرار

خضر خلايلة | محسن طه | رأفت زهيري

الحزب الشيوعي | الجبهة | الشبيبة الشيوعية

# دربُـــنا وعهـــدُنا

# ما قصة النصب التذكاري ولماذا في المقبرة؟

كثيرا ما تقام النصب التذكارية في البلدات العربية في المقابر فهذا هو الحل الخلاق الذي وجده الناس للتحايل على محاولات السلطات منع ترخيصها حيث أن إقامة نصب في مقبرة لا يتطلب الترخيص.

وفي سخنين أيضا أقيم النصب التذكاري في مقبرة الشهداء ودشن في الذكرى السنوية الثانية ليوم الأرض (٣٠,٣,١٩٧٨)، وصممه الفنانان عبد عابدي وغرشون كنيسبل.

ووفقا لما جاء في موقع عبد عابدي الإلكتروني: جاء النصب بصورة نعش ذي أربع جهات. المجسّمات على كلّ واحدة من الجهات هي عبارة عن قالب ألومنيوم مصبوب يبدو من بعيد أشبه بالصلصال. في الجهة الأولى تمّ نحت شخصيّة ترفع ما يشبه سلّة غلال كبيرة أو حجرًا كبيرًا وشخصيّتين انحنيتا لجمع الحصاد. وكُتب بالعربيّة، العبريّة والإنجليزية: «صمّمه عبد عابدي وغرشون كنيسبل تعميقًا للتّفاهم بين الشّعبين». على الجهة الأخرى كتب «المجد والخلود لشهداء يوم الأرض ٣٠,٣,١٩٧٦». وعلى الثالثة نُحتت صورة لامرأتين ثاكلين وهما على ركبتيهما، فيما تغطي راحات أيديهنّ وجهيهما، وبين الشّخصيّتين كُتب بالعربيّة فقط: «استشهدوا لنحيا.. فهم أحياء « شهداء يوم الدفاع عن الأرض، ٣٠,٣,١٩٧٦، وكذلك أسماء القتلى وبلداتهم. على طرف الجهة اليُسرى يبدو ما يشبه حفرة، في حين تطلّ من داخلها يد من غير الواضح إن كانت تتمسّك أم تطلب العون. أمّا الجهة الرابعة فهي تخلو من أيّ نص. وتبدو الشخصيّتان عليها متمدّدتين كجثّتين الواحدة تحت الأخرى، وهما تخلقان منظورًا أفقيًا وهادئًا. إلى جانب النّصب التذكاري، وبشكل منفصل عنه، هناك المحراث. فحين يجري قتل زارعي الأرض، يظلّ المحراث يتيمًا مكسورًا.

**تعزية**

نتقدم بأحر التعازي الى آل خليل (العجور) وأقربائهم وانسبائهم في شفاعمرو وخارجها لوفاة طيب الذكر المرحوم

**محمد مصطفى خليل**

**(أبو مصطفى)**

للفقيد الرحمة ولأهله وذويه

الصبر وحسن العزاء

**الحزب الشيوعي والجبهة - شفاعمرو**

**تعزية**

نتقدم بأحر التعازي الى آل خطيب وأقربائهم وانسبائهم في دير حنا وخارجها لوفاة طيب الذكر المرحوم

**جهاد احمد خطيب**

**(ابو أحمد)**

للفقيد الرحمة ولأهله وذويه

الصبر وحسن العزاء

**الحزب الشيوعي والجبهة- دير حنا**

**تعزية**

نتقدم بأحر التعازي الى آل رعد وأقربائهم وانسبائهم في شفاعمرو وخارجها لوفاة طيب الذكر الشاب المرحوم

**نزار عطاالله رعد**

**(أبو عطاالله)**

للفقيد الرحمة ولأهله وذويه

الصبر وحسن العزاء

الحزب الشيوعي والجبهة - شفاعمرو

**تعزية**

نتقدم بأحر التعازي الى آل شلاعطه وأقربائهم وانسبائهم في سخنين وخارجها لوفاة طيب الذكر الحاج المرحوم

**محمود زيتون شلاعطه**

**(ابو الهيثم)**

للفقيد الرحمة ولأهله وذويه

الصبر وحسن العزاء

**الحزب الشيوعي والجبهة- سخنين**

**تعزية**

نتقدم بأحر التعازي الى آل جمّال وآل مروشي وأقربائهم وانسبائهم في شفاعمرو وخارجها لوفاة طيبة الذكر المرحومة

**إميلي إبراهيم مروشي- جمال**

**(أم بطرس)**

للفقيدة الرحمة ولأهلها وذويها

الصبر وحسن العزاء

**الحزب الشيوعي والجبهة - شفاعمرو**

**تعزية**

نتقدم بأحر التعازي الى آل بحوث وأقربائهم وانسبائهم في شفاعمرو وخارجها لوفاة طيبة الذكر المرحومة

**نلي جودي بحوث**

**(أم هاني)**

للفقيدة الرحمة ولأهلها وذويها

الصبر وحسن العزاء

**الحزب الشيوعي والجبهة - شفاعمرو**

**تعزية**

نتقدم بأحر التعازي الى آل بدارنه وأقربائهم وانسبائهم في سخنين وخارجها لوفاة طيب الذكر المرحوم

**محمد فايز بركات بدارنه**

**(ابو فايز)**

للفقيد الرحمة ولأهله وذويه

الصبر وحسن العزاء

**الحزب الشيوعي والجبهة- سخنين**

**تعزية**

نتقدم بأحر التعازي الى آل ابوريا وأقربائهم وانسبائهم في سخنين وخارجها لوفاة طيب الذكر الحاج المرحوم

**مصطفى مطلق ابوريا**

**(ابو سمير)**

للفقيد الرحمة ولأهله وذويه

الصبر وحسن العزاء

**الحزب الشيوعي والجبهة- سخنين**

**تعزية**

نتقدم بأحر التعازي الى آل أبو شاح وأقربائهم وانسبائهم في شفاعمرو وخارجها لوفاة طيبة الذكر المرحومة

**ندى أبو شاح**

**(أم سعيد)**

للفقيدة الرحمة ولأهلها وذويها

الصبر وحسن العزاء

**الحزب الشيوعي والجبهة - شفاعمرو**

**تعزية**

نتقدم بأحر التعازي الى آل طربيه وأقربائهم وانسبائهم في سخنين وخارجها لوفاة طيب الذكر المرحوم

**علي ابراهيم طربيه**

**(ابو وسيم)**

للفقيد الرحمة ولأهله وذويه

الصبر وحسن العزاء

**الحزب الشيوعي والجبهة- سخنين**

**تعزية**

نتقدم بأحر التعازي الى آل سلامة وأقربائهم وانسبائهم في شفاعمرو وخارجها لوفاة طيب الذكر المرحوم

**رجا احمد سلامة**

للفقيد الرحمة ولأهله وذويه

الصبر وحسن العزاء

**الحزب الشيوعي والجبهة - شفاعمرو**

# سُطور طمراوية في أحداث يوم الأرض

د. محمد سروات حجازي

تحضيرات إنجاح يوم الأرض ابتدأت أشهر قبل هذا اليوم، بل وقبل إعلان الإضراب، ففي كل بلد ارتفع مستوى جاهزية كوادر الحزب والشبيبة في المعركة المحتدمة ضد مصادرة الأراضي، فنُظِّمت اجتماعات عديدة لحشد الناس للمعركة، وحسب هذا النهج كانت هذه المواقف في طمرة.

في ١٨-١٠-١٩٧٥ عُقدَ في الناصرة المؤتمر الشعبي للدفاع عن الأراضي بحضور وفود شعبية من كافة مناطق الوطن، وبه انتُخبت لجنة الدفاع عن الأراضي التي أعلنت يوم الأرض. في ذلك الوقت كان الموقف الرسمي لطمرة ممثلاً بموقف رئيس المجلس المحلي وإدارته مقاطعة هذا المؤتمر، وعليه عملت قيادة الشبيبة الشيوعية على إظهار الوجه الشعبي لبلدنا، فجند الرفاق الثانويون زملاء لهم بعد تعبئة الطلاب، وفي يوم انعقاد هذا المؤتمر أعلن طلاب المدرسة الثانوية في بلدنا (وكانت المدرسة الثانوية الوحيدة وتقع في بناية مدرسة الفارابي الحالية) الإضراب للمشاركة بالمؤتمر، وساروا/ سرنَ في مظاهرة هاتفين تأييداً للمؤتمر وضد مصادرة الأراضي. وحاولت دوريات الشرطة بالقوة تفريقهم، ولكن المظاهرة تواصلت بفضل جدعنة الطالبات بالمقدمة، ووصلت إلى محطة تجمع الباصات (دوار القدس، اليوم) التي أُعدّت لكي تنقل المشاركين بالمؤتمر إلى الناصرة، وفي الناصرة دخل طلاب المدرسة وبزيهم المدرسي مع الجمع الطمراوي قاعة المؤتمر هاتفين بشعارات المؤتمر، فقام رئيس المؤتمر الدكتور أنيس كردوش لتقديم التحية لطلاب ثانوية طمرة، ورداً على هذه الخطوة تعرض العديد من الطالبات والطلاب لملاحقات المخابرات ومضايقات لسنين طويلة.. وحتى ينجح الإضراب وتكون هبة جماهيرية.

في صباح ٣٠-٠٣-١٩٧٦ تجمع طلاب ثانوية طمرة في ساحة المدرسة (مدرسة الفارابي الإعدادية، الحالية) مخططين لمسيرة احتجاجية بتوجيهات من قيادة الشبيبة الشيوعية، وخصوصاً أن إدارة المجلس المحلي عملت على إفشال الإضراب في البلدة، وكانت قد وصلت أنباء عن الأحداث من الليلة السابقة في مثلث يوم الأرض واستشهاد أول الشهداء، وسارت المظاهرة لتلتحم مع مسيرة جاءت من حارات البلد لتصبح مظاهرة جماهيرية بوصولها للشارع الرئيسي، وتوجهت الجماهير إلى بناية المجلس المحلي مطالبين إدارته احترام قرار الإضراب والالتزام به. وعند وصول قوات كبيرة من الشرطة وحرس الحدود والوحدات الخاصة مع مدرعات عسكرية وأسلحة ثقيلة، جرى عراك بين الجماهير المتظاهرة وأهل الحي وهذه القوات المعتدية، وانتقلت معارك الكر والفر إلى أحياء أخرى من البلد، ووجد الشباب، وخصوصاً المصابين، ملجأ في كل بيت للهروب من بطش الاعتداء أو لمعالجة الإصابة.

هذه مذكراتي حيث كنت هناك طالباً ثانوياً.

قانون التنظيم والبناء، لسنة 1965
تعديل رقم (43) لسنة 1995
منطقة التنظيم المحلي الطيبة

إعلان بخصوص إيداع خارطة خارطة هيكلية محلية بمستوى مفصلة رقم 402/1567750 يعلن بهذا وفقا للمادة 89 من قانون التنظيم والبناء لسنة 1965 (فيما يلي «القانون») انه موجودة في مكاتب اللجنة المحلية للتنظيم والبناء الطيبة خارطة رقم 402/1567750 صفة الخارطة: تعليمات 5 بخطوط - 2 - المنطقة بالخارطة التالية: نوع المخالفة: تغيير بخارطة خصوع لخارطة خصوع خارطة رقم الخارطة بـ 30000/1 ب ر/1. المساحات المشمولة بالخارطة وموقعها: حوض 8070، قسيمة: 29 جزئي. أهداف: زيادة عدد الوحدات إضافة طوابق زيادة حقوق بناء تغيير لخطوط الارتداد وتحديد حق مرور/طريق المساحة الخاصة المفتوحة أهم تعليمات الخارطة: 1- زيادة عدد الوحدات السكنية ب(ا) (ا) 2. - زيادة مساحات البناء السكني بناء مكثف بمعدل لا يتجاوز/عن 25 - من مساحة القطعة أو بمساحة لا تزيد عن 700 م حسب الأسقف حسب تعديل رقم 800 2025 . 3 - تحديد /تغيير بخطوط الارتداد حسب بند ب(ا) (5) -5 تحديد/تغيير/ارتفاع البناء حسب بند ب(ا) (ا) 6 - تحديد حق مرور/طريق المساحة الخاصة المفتوحة حسب بند ب(ا) (ا) 6 مقسم، ماهية التسهيل: تسهيل بخط البناء الأمامي بما يتلائم مع بند الأبنية القائمة تسهيل بتصغير مساحة الأرض. تسهيل بتغطية الأرض. وعليه فكل من له اعتراض على ذلك يمكنه تقديمه الى اللجنة المحلية للتنظيم والبناء في قسم الهندسة خلال اسبوعين من تاريخ نشر الاعلان.
تنويه: بموجب القانون اللجنة غير ملزمة بالمصادقة على التسهيلات/ الاستعمال المغاير أعلاه.
يعقوب افراتي - رئيس اللجنة المحلية للتنظيم والبناء

بلدية الناصرة - قانون التنظيم والبناء -1965 اللجنة المحلية للتنظيم والبناء - بلدية الناصرة - بموجب البند 148، 149، 151، 150 من قانون التنظيم والبناء لسنة 1965 تعلن اللجنة المحلية للتنظيم والبناء في بلدية الناصرة انه قدمت لها طلبات للمصادقة عليها مع تسهيلات/ استعمال مغاير كما هو مبين ادناه: رقم الطلب: 2026019 الاسم: باسم خليف، بلوك: 16579، قسيمة 1/25 مقسم، ماهية التسهيل: تسهيل بخط البناء الأمامي بما يتلائم مع بند الأبنية القائمة تسهيل بتصغير مساحة الأرض. تسهيل بتغطية الأرض. وعليه فكل من له اعتراض على ذلك يمكنه تقديمه الى اللجنة المحلية للتنظيم والبناء في قسم الهندسة خلال اسبوعين من تاريخ نشر الاعلان.
تنويه: بموجب القانون اللجنة غير ملزمة بالمصادقة على التسهيلات/ الاستعمال المغاير أعلاه.
يعقوب افراتي - رئيس اللجنة المحلية للتنظيم والبناء

المحكمة الكنسية المارونية
في اسرائيل - في حيفا
قُدم إلى هذه المحكمة الكنسية المارونية في حيفا بتاريخ 24.03.2026 طلب لإصدار قرار إعلان حصر إرث المرحومة سعاد الياس طنوس هوية رقم 035254978 المتوفية بتاريخ 18.02.2026 من رعية مار لويس الملك للموارنة حيفا فمن له اعتراض على ذلك، عليه أن يقدمه خطياً الى المحكمة خلال أربعة عشر يوماً من تاريخ هذا الاعلان.
الاب سامر ديب زكنون
سكرتير ومسجل المحكمة

المحكمة الكنسية المارونية
في اسرائيل - في حيفا
قُدم إلى هذه المحكمة الكنسية المارونية في حيفا بتاريخ 24.03.2026 طلب إصدار قرار تثبيت وتنفيذ وصية المرحومة نجاة هاشول هوية رقم 020395687 المتوفية في حيفا بتاريخ 10.01.2026 ومن رعية مار لويس للموارنة. فمن له أي اعتراض على ذلك، عليه أن يقدمه خطياً الى هذه المحكمة خلال أربعة عشر يوم اعتبارا من تاريخ هذا الاعلان
الاب سامر ديب زكنون
سكرتير ومسجل المحكمة

مجلس كفرياسيف المحلي
تمديد اعلان مناقصة 26/01
يعلن مجلس كفرياسيف المحلي بهذا عن رغبته بتمديد فترة استلام عروض لـ «تخطيط شامل لمنطقة 5» في كفرياسيف كما هو مفصل لمواد المناقصة.
1) تسلم العروض باليد فقط لمدير عام المجلس المحلي، وتوضع في صندوق العروض في المجلس حتى يوم الاثنين الموافق 2026/04/06 لساعة 15:00 بعد الظهر. الاقتراح يكون في مغلف مغلق يحمل اسم مناقصة مفتوحة رقم 26/01، كل اقتراح يسلم بعد الموعد المذكور انفا لا يقبل.
2) شروط القبول مفصلة في مواد المناقصة ولا تغيير فيها.
3) لا تقبل عروض ترسل في البريد.
4) شروط القبول مفصله في مواد المناقصة
باحترام عصام نعيم شحادة
رئيس المجلس المحلي

مجلس كفرياسيف المحلي
تمديد اعلان مناقصة 47/24
يعلن مجلس كفرياسيف المحلي بهذا عن رغبته بتمديد فترة استلام عروض لـ «اعمال ترميم شوارع اتفاقية شاملة» في كفرياسيف كما هو مفصل لمواد المناقصة.
1) تسلم العروض باليد فقط لمدير عام المجلس المحلي، وتوضع في صندوق العروض في المجلس حتى يوم الاثنين الموافق 2026/04/06 لساعة 15:00 بعد الظهر. الاقتراح يكون في مغلف مغلق يحمل اسم مناقصة مفتوحة رقم 47/24، كل اقتراح يسلم بعد الموعد المذكور انفا لا يقبل.
2) شروط القبول مفصلة في مواد المناقصة ولا تغيير فيها.
3) لا تقبل عروض ترسل في البريد.
4) شروط القبول مفصله في مواد المناقصة
باحترام عصام نعيم شحادة
رئيس المجلس المحلي

# من ذكريات يوم الأرض الخالد

جهاد سعد

يوم الأرض الخالد ١٩٧٦ صاحب الفضل في وحدة أبناء شعبنا العربي في الدفاع عن الأرض والمساواة في الحقوق، وبلدي العزيز شفاعمرو بوحدته بكل مكوناته كان المثل في قرار لجنة الدفاع عن الأراضي الذي أطلقه المناضل الرفيق توفيق زياد في اجتماع الرؤساء في بلدية شفاعمرو يوم ١٩٧٦/٣/٢٥، الشعب قرر الإضراب والذي دفع بالشباب والأهالي بالنزول إلى الشارع للتظاهر والاشتباك مع قوات الشرطة في شوارع المدينة وأمام مبنى بلدية شفاعمرو، مما أعطى زخماً وقوة للإعداد ليوم الأرض في ثلاثين آذار في كل مجتمعنا العربي.

وأعتز أنني كنت أحد هؤلاء الشباب، وهذه هدية جعلتني أسير في طريق الكفاح القومي والإنساني اليومي في الحزب الشيوعي صاحب القرار في الإضراب والدفاع عن الأرض والسلام والعدل والمساواة وإقامة الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة، وفي لجنة المبادرة العربية الدرزية وأهدافها أهداف الحزب الشيوعي والجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة، وإلغاء الخدمة الإجبارية على العرب الدروز وجعلها اختيارية. ما أجمل وأروع هذا اليوم الذي وحد أبناء شعبنا، وهو المعلم لنا إذا تعمقنا في قراره وتنفيذه والسير على دربه، درب الكفاح والعدل والمساواة والإنسانية..

**شفاعمرو**

مجلس كفرياسيف المحلي
تمديد اعلان مناقصة 25/26
يعلن مجلس كفرياسيف المحلي بهذا عن رغبته بتمديد فترة استلام عروض لـ «اعمال ترميم شوارع اتفاقية شاملة» في كفرياسيف كما هو مفصل لمواد المناقصة.
1) تسلم العروض باليد فقط لمدير عام المجلس المحلي، وتوضع في صندوق العروض في المجلس حتى يوم الاثنين الموافق 2026/04/06 لساعة 15:00 بعد الظهر. الاقتراح يكون في مغلف مغلق يحمل اسم مناقصة مفتوحة رقم 25/26، كل اقتراح يسلم بعد الموعد المذكور انفا لا يقبل.
2) شروط القبول مفصلة في مواد المناقصة ولا تغيير فيها.
3) لا تقبل عروض ترسل في البريد.
4) شروط القبول مفصله في مواد المناقصة
باحترام عصام نعيم شحادة
رئيس المجلس المحلي

مجلس كفرياسيف المحلي
تمديد اعلان مناقصة 26/07
يعلن مجلس كفرياسيف المحلي بهذا عن رغبته بتمديد فترة استلام عروض لـ << حراسة مدارس واقسام الرفاه الاجتماعي>> في كفرياسيف كما هو مفصل لمواد المناقصة.
1) تسلم العروض باليد فقط لمدير عام المجلس المحلي، وتوضع في صندوق العروض في المجلس حتى يوم الاثنين الموافق 2026/04/06 لساعة 15:00 بعد الظهر. الاقتراح يكون في مغلف مغلق يحمل اسم مناقصة مفتوحة رقم 26/07، كل اقتراح يسلم بعد الموعد المذكور انفا لا يقبل.
2) شروط القبول مفصلة في مواد المناقصة ولا تغيير فيها.
3) لا تقبل عروض ترسل في البريد.
4) شروط القبول مفصله في مواد المناقصة
باحترام عصام نعيم شحادة
رئيس المجلس المحلي

بيان المكتب السياسي في الحزب الشيوعي الاسرائيلي
حول قرار الحكومة مصادرة عشرين ألف دونم
في الجليل
لإلى مصادرة الأراضي العربية والتهويد
المكتب السياسي للحزب الشيوعي الاسرائيلي ينظر بسلبية وبقلق عميق الى قرار حكومه رابين في جلستها بتاريخ ٢٩-٢-١٩٧٦ القاضي بمصادرة عشرين الف دونم في الجليل لاحتياجات ما يدعى « استيطان الجليل » والذي يعني كما عادت « دافار » ( ١-٣-١٩٧٦ ) واكدت انه « تهويد الجليل » ويرى فيه مشروع عنصري مخجل .
كنا نتوقع ان تتراجع حكومة رابين عن مشروعها العنصري هذا امام موجة احتجاج الاهلين العرب والاوساط الديمقراطية الواسعة في البلاد وامام تيقظ الراى العام العالمي لكل ما يجرى في اسرائيل .
قرار الحكومة الاستمرار في تنفيذ هذا المشروع ومبادرتها الى مصادرة بقية اراضي المواطنين العرب بعد ٢٨ سنة منذ قيام الدولة عمل مغامر يهدد مستقبل العلاقات بين الشعبين . ان تفسير الحكومة بان سلب الاراضي الاخير يجرى على قدم المساواة بين اليهود والعرب ولصالح الشعبين — لمحاولة فاضحة لتضليل الجمهور في البلاد وفي العالم .
العرب متشوقون الى التطوير اكثر من تشوقهم الى اي شيء آخر ، وهم لا يعارضون التطوير الحقيقي الذي يجرى لصالحهم وصالح اكثرية اهالي البلاد . ولكن السياسة الرسمية برهنت على ان سلب الاراضي خلال كل السنوات الماضية لم يكن له اي علاقة بالتطوير الحقيقي . ولا تخفى الحكومة ان القرار الاخير بمصادرة الاراضي في الجليل هو جزء من مشروع اوسع لمصادرة آلاف اخرى في النقب ، وفي المثلث ( كفر قاسم ) واراضي قرية معليا — في الجليل الاعلى— واراضي قرية عرب السواعد في المنطقة الخلقة رقم « ٩ » .
والمعروف ان هناك وزراء وشخصيات يرون مقدما النتائج الوخيمة لهذه السياسة المغامرة وبدون معارضتهم لها .
اننا نعود ونطالب بابطال اوامر المصادرة في الجليل وفي سائر انحاء البلاد .
لاجل مستقبل العلاقات بين الشعبين ، ولاجل مستقبل اسرائيل في عائلة شعوب المنطقة وشعوب العالم ، ندعو جميع اصحاب الضمائر وجميع انصار السلام والعلاقات بين الشعوب ان يعارضوا هذه السياسة الحبلى بالمخاطر .
تل ابيب ١-٣-١٩٧٦
المكتب السياسي في الحزب الشيوعي الاسرائيلي

# بين تعزيز الوعي بأهمية الأرض وتحدي

على الرغم من الرمزية التاريخية للإضراب واستمرار سياسات التفكيك المكاني، والتخطيط المقيد، وسياسات التمييز والقمع والاضطهاد القومي، الا ان يوم الارض شكل بداية مرحلة جديدة في الصراع على الأرض والهوية، ولم يكن نهاية التحديات المصيرية التي تواجه المجتمع الفلسطيني.

د. مروان مشرقي

نحيي هذه السنة الذكرى الخمسين ليوم الأرض الخالد ٣٠ آذار ١٩٧٦، الذي مثل لحظة مفصلية في التاريخ الفلسطيني. فقد جسّد هذا الحدث انصهار الوعي الوطني بالقضية الاجتماعية، ليصبح رمزًا للصمود ضد سياسات مصادرة الأراضي والتفكيك المكاني والديمغرافي للتجمعات الفلسطينية ولسياسة التمييز العنصري والقمع والاضطهاد القومي لجماهيرنا الفلسطينية داخل إسرائيل.

ولأن الأرض في الفكر الفلسطيني ليست مجرد مساحات جغرافية أو موارد اقتصادية، بل محور وجود وكرامة، فإن الإضراب العام، آنذاك، لم يكن مجرد احتجاج على المصادرات، بل انفجارًا لتراكم التناقضات البنيوية التي شهدها المجتمع الفلسطيني منذ عام ١٩٤٨ وتراكم النضالات لهذه الجماهير ولزيادة الوعي الوطني وفعل التنظيم السياسي لهذه الجماهير.

يأتي هذا المقال بمناسبة الذكرى الخمسين ليوم الأرض، لنستعيد الأحداث التاريخية ونحللها من منظور المحرض والمنظم والمهندس الفاعل لهذا الحدث التاريخي، ونستعرض فيه دور السياسات الاستيطانية، ومساهمة لجنة الدفاع عن الأراضي والتنظيم السياسي بقيادة الحزب الشيوعي الإسرائيلي والمساهمة الشخصية للقائد الوطني لشاعر المقاومة ورئيس بلدية الناصرة توفيق زياد، في بلورة فعل جماهيري شامل.

## التحولات الاقتصادية والاجتماعية والديمغرافية قبل يوم الأرض

منذ النكبة ١٩٤٨، واجه المجتمع الفلسطيني داخل اسرائيل تحولات اقتصادية عميقة غيرت بنيته الاجتماعية والسياسية. فقد صودرت الغالبية الساحقة من الأراضي الزراعية لصالح مشاريع استيطانية وزراعية يهودية، ما أدى إلى انهيار قاعدة الإنتاج الزراعي التقليدي التي كانت تعتمد عليها المجتمعات الفلسطينية منذ عقود. ومع انهيار الطبقة الفلاحية، اضطر العديد من الفلسطينيين إلى الانتقال للعمل في وظائف مأجورة منخفضة الأجر، غالبًا ضمن الاقتصاد الإسرائيلي، ما زاد من التبعية الاقتصادية وخلق تفاوتًا اجتماعيًا واضحًا.

ان التغيرات الاقتصادية لم تكن معزولة عن التحولات الاجتماعية. فقد أدى تراجع النشاط الزراعي وارتفاع الكثافة السكانية في التجمعات الفلسطينية إلى أزمة سكن حادة، خصوصًا في القرى والمدن الصغيرة. كما وظهرت فئة مثقفة جديدة في الستينيات والسبعينيات، نتيجة للنضالات الطويلة لأولئك الشباب المثقفين الذين وجدوا في صحيفة ألأتحاد الحيفاوية ومجلة الغد والجديد المنبر والمنصة للحفاظ على اللغة العربية والتمسك بالجذور الفلسطينية وبلورة وعي سياسي تقدمي وعلى رأسهم شعراء المقاومة وأدباؤها اميل حبيبي وتوفيق زياد ومحمود درويش وسميح القاسم ومحمد علي طه وسالم جبران وطه محمد علي وحنا إبراهيم وحنا أبو حنا وسميح صباغ الى جانب القادة السياسيين الشباب توفيق طوبي واميل توما واميل حبيبي وسليم القاسم وحنا مويس وصليبا خميس وطاهر الفاهوم واسعد يوسف والشيخ فرهود فرهود ومنصور كردوش والقس شحادة شحادة وعبد الحميد أبو عيطة وعثمان أبو راس ومحمود اغبارية ومحمد ميعاري وغيرهم. كل هذا لعب دورًا محوريًا في بلورة الوعي السياسي، وتعزيز التنظيم السياسي والاجتماعي والثقافي في مواجهة سياسات الدولة العنصرية.

على الصعيد الديمغرافي، شهدت مناطق الجليل والمثلث والنقب نموًا سكانيًا كبيرًا مقارنة بمساحة الأراضي المتاحة، ما أدى إلى تضييق المساحات السكنية المتاحة وخلق ضغط كبير على الموارد الأساسية. هذا الضغط أضعف قدرة التجمعات الفلسطينية على التواصل المكاني التقليدي وحافظ على حالة من الانعزال الجغرافي، ما جعل الأرض محور الصراع اليومي، ليس فقط كمورد اقتصادي، بل كعنصر أساسي للهوية الوطنية.

احياء ذكرى يوم الأرض بصرخة ضد الحرب – 2024

ان السياسات الإسرائيلية في هذا السياق لم تكن مجرد إجراءات تنظيمية أو تخطيطية. فبعد إلغاء الحكم العسكري في الداخل عام ١٩٦٦، استمرت، بل وتعمقت سياسة الاضطهاد والتمييز القومي والتي شكلت أدوات الإقصاء والتحكم عبر قوانين الأراضي والسياسات التخطيطية، التي حالت دون إعادة إنتاج المجتمع الفلسطيني بشكل مستقل. وكان الحزب الشيوعي الجهة التي ربطت بين هذه التحديات وبين النضال الوطني والأممي وبين النضال الاجتماعي وحقوق الأقلية الوطنية، من خلال تشكيل إطار سياسي مستدام يمكن من خلاله التعبير عن المطالب الجماهيرية وإدارة الاحتجاجات بشكل منظم.

## مشروع تفكيك التواصل الجغرافي-الديمغرافي

لقد شكّل مشروع تفكيك التواصل الجغرافي والديمغرافي للتجمعات الفلسطينية في الجليل والمثلث والنقب أحد أبرز أدوات السيطرة الاستيطانية التي تبنتها الحكومات الإسرائيلية منذ النكبة، والتي تعززت في العقود اللاحقة من خلال خطط التطوير الرسمية. فالدولة، ومن خلال سياسات التخطيط العمراني والإداري، سعَت إلى خلق فضاءات مفصولة ومجزأة بين التجمعات العربية، بحيث لم يعد بالإمكان لأي تجمع فلسطيني الحفاظ على تواصله المكاني التقليدي أو على قوته الاقتصادية والاجتماعية دون مواجهة قيود قانونية وإدارية صارمة.

في الجليل، لجأت السلطات إلى مصادرة آلاف الدونمات بذريعة التطوير الزراعي وإنشاء بلدات جديدة، بينما كانت هذه الأراضي في الواقع تشكّل العمود الفقري للاقتصاد الزراعي الفلسطيني التقليدي. وقد أُنشئت بلدات يهودية صغيرة تفصل بين القرى العربية، الأمر الذي أدى إلى قطع الروابط الطبيعية بين التجمعات الفلسطينية، وأدى إلى عزلة بعض القرى عن محيطها الثقافي والاجتماعي. كما أن التوزيع الانتقائي للاستثمارات والخدمات العامة، مثل المدارس والمرافق الصحية وشبكات المياه والكهرباء، كان يخدم أهداف التفكيك الديموغرافي، إذ قُدمت الموارد الأساسية للأحياء اليهودية أو للمناطق المختلطة بطريقة تجعل التجمعات العربية محدودة القدرة على النمو والاستقرار.

أما في النقب، فقد اتخذ المشروع أشكالاً أكثر وضوحًا وعنفًا من الناحية التخطيطية. فقد تم حصر التجمعات البدوية في بلدات مخططة، وحرمان عدد كبير من القرى من الاعتراف الرسمي، ما جعل سكانها يعيشون تحت تهديد الإخلاء المستمر. كما تم توجيه مساحات واسعة من الأراضي لمشاريع زراعية وعسكرية واستيطانية، بهدف تفريغ مناطق واسعة من السكان الفلسطينيين وإضعاف قدرتهم على التواصل المكاني والحفاظ على شبكاتهم الاقتصادية والاجتماعية التقليدية. وقد أضحت هذه السياسات أدوات فعالة لتفكيك النسيج الاجتماعي التقليدي، وتحويل المجتمع إلى جيوب متفرقة قابلة للإدارة والسيطرة، بدلاً من أن يكون مجتمعًا متصلًا قادرًا على تطوير اقتصاد مستقل أو مقاومة سياسات الاستيطان بشكل جماعي.

وكانت سلطة تطوير الجليل والنقب أحد الأذرع الرسمية لتنفيذ هذا المشروع، حيث تولت إدارة المشاريع الاستيطانية وتوجيه الاستثمارات بشكل انتقائي، بما يخدم التوسع اليهودي على حساب التجمعات الفلسطينية. هذه السلطة لم تكن مجرد جهة للتنمية الاقتصادية، بل أداة سياسية بالأساس، تعمل على إعادة هندسة المجتمع الفلسطيني، من خلال تحديد أماكن السكن، تنظيم حركة السكان، التحكم في الأراضي الزراعية، وحتى التأثير على توزيع القوى العاملة. وبذلك، أصبح التخطيط العمراني ليس وسيلة لتنمية المجتمع فحسب، بل أداة لاستدامة الهيمنة والسيطرة، وتفكيك الترابط المكاني الذي يشكّل أساس الاستقرار والهوية الفلسطينية.

إن أثر هذه السياسات امتد إلى جميع مستويات الحياة اليومية؛ فالفلسطينيون لم يعودوا قادرين على الحفاظ على اقتصادهم الزراعي التقليدي، كما تراجع التواصل الاجتماعي بين القرى والمدن، ما زاد من حدة الاحتقان الشعبي والمطالبة بالحقوق الأساسية. وقد شكّل هذا السياق الأرضي والسياسي حجر الأساس الذي أطلق إضراب يوم الأرض ٣٠ آذار ١٩٧٦، كفعل جماهيري رفضًا للسياسات الاستيطانية وللمحاولات المنهجية لتفكيك المجتمع الفلسطيني من الداخل.

## يوم الأرض ٣٠ آذار ١٩٧٦: انفجار الجماهير الفلسطينية

مع حلول ربيع عام ١٩٧٦، بلغت حالة الاحتقان الشعبي داخل المجتمع الفلسطيني في إسرائيل ذروتها. فقد

# ...يات المستقبل

كانت المصادرات المستمرة للأراضي في الجليل والنقب قد وصلت إلى مستويات غير مسبوقة، حيث صودرت آلاف الدونمات الزراعية والريفية بحجة مشاريع التطوير الرسمية، بينما كانت هذه الأراضي تمثل أساس سبل العيش للفلاحين. هذا الواقع أدى إلى شعور متزايد بالتهديد الوجودي، وأكد أن قضية الأرض لم تعد مجرد مطلب اقتصادي أو رمزي، بل مسألة حياة أو موت ثقافية وسياسية.

في هذا السياق، أعلنت لجنة الدفاع عن الأراضي بقيادة القس شحادة شحادة والقائد الشيوعي صليبا خميس وبالتنسيق مع اللجان الشعبية والعديد من السلطات المحلية كعرابة وسخنين ودير حنا عن تنظيم إضراب عام يوم ٣٠ آذار، شمل المدن والقرى الفلسطينية داخل اسرائيل، لتوحيد الصفوف ومواجهة السياسات الحكومية. لم يكن الإضراب مجرد توقف عن العمل، بل شمل مسيرات احتجاجية، مظاهرات جماهيرية، وقفات سلمية وصدامات مع قوى الأمن الإسرائيلية التي حولت القرى العربية الى ثكنات عسكرية بالإضافة إلى فعاليات سياسية توعوية، هدفها إظهار رفض الجماهير لمصادرة الأراضي والتهميش المستمر.

لقد سطرت الجماهير العربية في إسرائيل تاريخ يوم الأرض بدماء ستة شهداء وعشرات الجرحى، ليصبح هذا اليوم رمزا استثنائيا في الذاكرة الوطنية الفلسطينية، ليس فقط كحدث سياسي انما كرمز للتضحية والصمود الجماعي والتمسك بالأرض.

## التنظيم السياسي ودور القيادة

لعب الحزب الشيوعي دورًا مركزيًا في تحويل الاحتقان الشعبي إلى فعل سياسي منظم. فقد كان الحزب من أبرز القوى التي شكلت لجنة الدفاع عن الأراضي وعملت على توحيد اللجان الشعبية، وتحديد استراتيجية الإضراب، وضمان تنسيق التحركات في مختلف المناطق. ربط الحزب بين المطالب الاجتماعية اليومية، مثل حقوق الأرض والعمل والسكن، وبين الحقوق القومية، ما أعطى للإضراب بعدًا سياسيًا–طبقيًا، وأكسبه قوة في التعبئة الجماهيرية.

أما توفيق زياد، فقد كان الشخصية الوطنية الرائدة التي أعطت للإضراب شرعية سياسية واسعة. بصفته رئيس بلدية الناصرة وقياديًا وطنيًا، جسد زياد العلاقة العضوية بين القيادة والشعب، وأصبح صوته رمزًا للمقاومة الشعبية والوطنية. من خلال مواقفه الحازمة وخطاباته الوطنية الواضحة والمقاومة للسلطة وعكاكيزها من رؤساء مجال س محلية، ربط قضية الأرض بالكرامة والهوية، وشجع الجماهير على المشاركة في الإضراب كفعل وطني جماعي. لقد كانت شخصيته بمثابة جسر بين النخب المثقفة والفلاحين، وبين الشباب والقيادات التقليدية، مما ساعد على تحقيق وحدة نادرة في الحركة الوطنية الفلسطينية داخل الأقلية العربية الفلسطينية داخل اسرائيل.

على الرغم من الرمزية التاريخية للإضراب واستمرار سياسات التفكيك المكاني، والتخطيط المقيد، وسياسات التمييز والقمع والاضطهاد القومي، الا ان يوم الارض شكل بداية مرحلة جديدة في الصراع على الأرض والهوية، ولم يكن نهاية التحديات المصيرية التي تواجه المجتمع الفلسطيني.

## رث خمسين عامًا من النضال

مع الذكرى الخمسين ليوم الأرض، تتجدد الدعوة لتأمل هذا الحدث ليس كمجرد استذكار تاريخي، بل كدرس مستمر في النضال من أجل الأرض والهوية. ومن أجل وحدة كل القوى السياسية الوطنية في مكافحة سياسة التمييز القومي والقمع والاضطهاد اتجاه هذه الجماهير.

كما أن يوم الأرض أرسى تقليدًا نضاليًا مستمرًا في المجتمع الفلسطيني، يربط الأجيال الجديدة بالماضي، ويغرس فيهم روح الصمود والمقاومة، ويعزز الوعي بأهمية الأرض كعنصر وجودي للهوية الفلسطينية.

لقد أظهر يوم الأرض أن المقاومة لا تقتصر على العمل السياسي فقط، بل تمتد لتشمل التنظيم الجماهيري، الوعي المجتمعي، وربط الحقوق القومية بالعدالة الاجتماعية. والقضايا الحياتية اليومية لهذه الجماهير

إن إرث يوم الأرض يظل حاضرًا في الذاكرة الفلسطينية كرمز للصمود، وكإشارة إلى أن الأرض ليست مجرد مساحة، بل قلب الهوية والوجود الفلسطيني على ارض الوطن، وأن النضال المستمر للحفاظ عليها وإعادة إنتاج المجتمع مرتبط بالوعي الجماعي والسياسي للأجيال القادمة وهو مهمة أساسية ومصيرية لنا جميعا.

**الناصرة 14/03/2026**

# «يوم الأرض» ليس للذكرى فقط

**شادي شويري**

وضعت الحركة الصهيونية قضية الأرض، وتحويل ملكيتها من العرب لليهود، كهدف أول لها، ضمن سياسة «تخليص الأرض واحتلال العمل» (גאולת האדמה וכיבוש העבודה) التي تهدف إلى تحويل أكبر مساحة من أرض فلسطين من الملكية العربية إلى الملكية اليهودية، بكل الأساليب، وعبر المؤسسات الصهيونية مثل «الكيرين كييميت» وغيرها. أما «احتلال العمل» فكان يهدف إلى التخلص من القوة العمالية العربية وتفضيل العمال اليهود على العرب في سوق العمل.

وعندما تأسست دولة إسرائيل واصلت هذه السياسة بكل شراسة: مصادرة الأرض العربية باستعمال قوانين مثل الحاضر الغائب (נוכח נפקד) وما يقارب ثلاثين قانونًا آخر تشكل مجتمعة وصمة عار على جبين العدالة، ويتخذها أساتذة القانون في الجامعات كمثال على استخدام القانون لضرب العدالة وتشريع السرقة السافرة والاستيلاء على الأراضي دون وجه حق. الأمر الذي أدى إلى تراجع ملكية العرب للأراضي إلى نحو ٤٪ – من مجمل الأراضي التي قامت عليها إسرائيل (بعد أن كانت ٩٤٪ – قبل تأسيس إسرائيل).

تعاملت الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة مع الجماهير العربية التي بقيت في وطنها بعد النكبة في كل ما يخص قضية الأرض حسب مبدأ «أكثر ما يمكن من العرب على أقل ما يمكن من الأرض» (مقولة منسوبة لرئيس حكومة اسرائيل الأول بن غوريون). وبرزت هذه السياسة بكل بشاعتها أيضًا في قضية التخطيط والبناء. أحد الأمثلة الصارخة لهذه السياسة في قضية التخطيط والبناء هو شارع رقم ٦ المسمى «عابر إسرائيل».

أكتب هنا عن المقطع قبل الأخير من هذا الشارع الذي يمر في أراضي كفرياسيف وأبو سنان وجديدة المكر، ويهدد بقضم آلاف الدونمات من أراضي هذه القرى، كشاهد عيان على استخدام «التخطيط والبناء» كأداة لقضم ما تبقى من أرض مملوكة للعرب مواطني الدولة. حيث ساهمت، خلال فترة رئاستي لمجلس كفرياسيف المحلي (٢٠١٨ – ٢٠٢٤)، مع رؤساء مجالس القرى المجاورة، ولجنة أصحاب الأرض، في مكافحة هذا المشروع، الذي يرتدي لباس «التخطيط والبناء» بينما هو في جوهره أداة للاستيلاء على أرض العرب، ضاربًا مبادئ التخطيط والبناء السليمة لصالح الهدف الأكبر وهو الاستيلاء على الأرض العربية.

يمتد هذا الشارع، من بئر السبع جنوبًا وحتى البصة المهجرة شمالًا، وهو مشروع ضخم واستراتيجي وليس شارعًا عاديًا إذ أن الرقعة التي يصادرها تصل إلى ٣٠٠ متر على طول هذا الشارع. وحين يمر هذا الشارع في الأراضي العربية كان واضحًا أن الهدف هو الاستيلاء على أكثر ما يمكن من هذه الأراضي، واستغلال هذا الشارع لوضع أمر واقع يشكل حدًا نهائيًا لتطور هذه القرى والمدن في المستقبل، وضرب احتياط الأرض المعدّة للتوسع مستقبلًا (باقة الغربية، أم الفحم الطيرة والطيبة على سبيل المثال). كما استخدم هذا الشارع لوضع حدود فعلية على الأرض بين القرى والمدن العربية وتلك اليهودية.

وكان هذا الهدف واضحًا بكل بشاعته في منطقتنا، حيث خضنا معركة طويلة ومعقدة، في أروقة مكاتب التخطيط والبناء، وصولًا إلى المحكمة العليا، التي تنظر حاليًا في القضية. وخضنا هذه المعركة، التي ما زالت مستمرة حتى اليوم، بمهنية عالية بمساعدة «المركز العربي للتخطيط البديل» وبمرافقة رئيس المركز د. حنا سويد، الذي أعد تخطيطًا بديلًا كاملًا لهذا الشارع، يمر بمعظمه في ما يسمى «أراضي الدولة»، يبتعد عن أراضي قرانا الثلاث غربًا نحو مستوطنات «نس عميم» ومستوطنات أخرى. وكان هذا المخطط أفضل بكثير من الشارع المقترح حتى من ناحية تكاليف شقه وتأثيره على البيئة والأرض الزراعية، وليس فيه التواءات مثل المخطط الحكومي الذي استعمل هذه الالتواءات لقضم الأراضي العربية ضاربًا بذلك مبادئ التخطيط السليم لصالح السياسة العنصرية التي تستهدف الأرض العربية.

وكما هو متوقع، رفضت هيئات التخطيط هذا المخطط ومخططًا آخر أعده بروفيسور يوسف جبارين باسم المجالس الثلاثة وأصحاب الأرض، والقضية الآن على طاولة المحكمة العليا، التي اضطررنا للتوجه إليها أيضًا بسبب ضرب مبدأ التعويض الذي اتبع على طول مسار الشارع «أرض مقابل أرض» والاكتفاء بالتعويض المادي المجحف.

ولهذا أقول إن «يوم الأرض» ليس فقط للذكرى والتاريخ، إنما هو معركة مستمرة تأخذ وجوهًا أخرى غير وجه المصادرة السافر «عينك عينك» وترتدي أقنعة تمويه مختلفة مثل قناع «التخطيط والبناء»، الدي يترجم في قرانا ومدننا «تخطيط» لنهب ما تبقى من أراضينا و«بناء» لغيرنا على أراضينا.

عاش يوم الأرض الخالد، ومعركتنا مستمرّة، وعلينا كسلطات محلية وأصحاب أراضي، أن نكون يقظين، بمهنية كاملة، لكشف المخططات التي تستهدف الاستيلاء على الأرض والقضاء على امكانيات توسع مدننا وقرانا. نستلهم من يوم الأرض معاني النضال الجماهيري والثبات على المبادئ والدفاع عن الحقوق ودحر كل المخططات التي تستهدف وجودنا وتطورنا في وطننا الذي لا وطن لنا سواه.

الاتحاد
27/3/2026
ملحق خاص على شرف
يوم الأرض 50

# الرامة كان لها دور ريادي في يوم الأرض 1976

فاتن كمال غطاس

كان هذا يوما تاريخيا في الرامة، حيث أضربت الرامة عن بكرة أبيها معلنة سخطها على الجرائم الوحشية وهرعت القرية بجماهيرها الغفيرة الى قاعة وساحات كنيسة الروم الأرثوذكس واشترك في الاجتماع الألوف التي عبرت عن سخطها وغضبها ليس فقط على المصادرة بل على الجرائم التي ارتكبتها السلطة في قرانا العربية

كنت في ريعان الشباب وعنفوان الشبيبة الشيوعية ترعرعت في البيت الشيوعيين كمال ونجيبة غطاس، في بيت صغير جدا لكنه مليان محبة وعطاء، كان نادي الحزب والشبيبة التي كانت فعالة بشكل كبير. فيه بدأت العلاقة مع رئيس مجلس الرامة المحلي طيب الذكر حنا مويس، منذ مطلع السبعينات من القرن الماضي، حيث ترأس مجلس الرامة من اول انتخابات له عام ١٩٥٩ حتى وفاته عام ١٩٨١ وكان شخصية وطنية أصيلة محبوبه في البلدة، وربطته علاقة مميزة مع والدي الراحل كمال غطاس، أبو مازن الذي انتخب لعضوية المجلس المحلي، من اول انتخابات له، وطوال فترة رئاسته كانا على توافق كبير وتنسيق كامل في العمل البلدي لمصلحة كل الناس، مع ان قائمة الحزب لم تكن شريكة بالائتلاف. منذ بداية سنوات السبعينات بدأت لقاءات حنا مويس، أبو ناصيف، مع قادة الحزب، في بيتنا، مع رمزي خوري وجمال موسى، حيث بدأت تتبلور فكرة إقامة لجنة الرؤساء للسلطات المحلية العربية، والتي نضجت عام ١٩٧٤، وليس صدفة ان يترأس حنا مويس هذه اللجنة بإجماع رؤساء المجالس في حينه، منذ تأسيسها حتى وفاته وانتخب في قائمة الجبهة لعضوية الكنيست عام ١٩٧٧.

يوم الأرض كان نتاج نشاطات واسعة التي بدأت في أواخر عام ١٩٧٥وكانت تأسيس لجنة الدفاع عن الأراضي في ١٤ اب ١٩٧٥ انطلاقة لهذا اليوم التاريخي.

في اجتماع شفاعمرو للرؤساء في ٢٥ اذار والذي جاء في محاولة لكسر الاضراب، كان لموقف أبو ناصيف، رئيس اللجنة تأثير كبير على صد المؤامرة لإفشال الاضراب، مع انه ربطت حنا مويس علاقة وثيقة مع رئيس بلدية شفاعمرو الراحل إبراهيم نمر حسين والذي كان على رأس من دعوا لتأجيل الاضراب، لعل الاجتماع الموعود مع رئيس الحكومة رابين يؤتي ثمارا أفضل. هذا الموقف الذي اتخذه حنا مويس وتوفيق زياد وجمال طربيه وعدد من الرؤساء الوطنيين (١١ رئيس)، الذين أصروا على رفض مؤامرة السلطة في اجتماع شفاعمرو برفض اجراء التصويت في الجلسة التي عقدت تحت حراب السلطة والشينبيت وقواتها المسلحة، ورفض ان يبت رؤساء السلطات المحلية بقرار لم يتخذوه أصلا، بقرار من لجنة الدفاع عن الأراضي، كان هناك رؤساء شاركوا في عملية التصويت، لكنهم عارضوا تأجيل الاضراب.

على صعيد الرامة منذ انتخابات المجلس الأولى كان للحزب عضوين في المجلس، عام ١٩٧٣ انتخب كمال غطاس والمحامي حبيب أبو حلو، صديق الحزب الصدوق، وعضو سكرتارية لجنة الدفاع عن الأراضي، والذي كان المرافق الدائم والقيادي الدمث مع حنا مويس في لجنة الرؤساء ولجنة الدفاع عن الأراضي.

استطاعت هذه القيادة الحكيمة توحيد أهالي الرامة بكافة اطيافها السياسية وطوائفها الثلاث وراء قرارات لجنة الدفاع عن الأراضي، حيث اتخذوا قرار بالإجماع في مجلس الرامة المحلي، بتاريخ ٢٨ شباط ١٩٧٦، باستنكار سياسة تهويد الجليل ومصادرة الأراضي وتأييد قرارات اجتماع سخنين الذي بدأ بالإعداد للإضراب، وكان حنا مويس قد ترأس الاجتماع الضخم الذي دعت له لجنة الدفاع عن الأراضي في الناصرة في ٦ اذار والذي أقر بشكل نهائي الاضراب العام في ال ٣٠ من اذار ومظاهرة امام الكنيست.

ملامح نجاح الاضراب في هذا اليوم أيضا ظهرت في الرامة بالاجتماع الشعبي الواسع، قبل أسبوعين من الاضراب، في قاعة كنيسة الكاثوليك وحضره المئات وتحدث فيه الشيخ فرهود فرهود امام الطائفة الدرزية في الرامة ورئيس لجنة المبادرة الدرزية، وحنا مويس والأستاذ نبيه القاسم والمحامي حبيب أبو حلو، وفيه تم انتخاب لجنة لتنظيم الكفاح الشعبي ضمت الإباء الروحيين لطوائف البلدة الثلاثة ورئيس المجلس المحلي وممثلي العمال والمثقفين وكافة فئات المجتمع الراماوي.

الشاعر الراحل سميح القاسم متحدثًا في مهرجان لذكرى يوم الأرض الخالد

عشية يوم الأرض كانت البلدة تغلي والاجتماعات تعقد للشبيبة والحزب واللجنة الشعبية، لمختلف التحضيرات، أولا لإنجاح الاضراب حيث عقد اجتماع مع التجار والحرفيين، وأجرينا توزيع الرفاق على مفارق الطرق الخارجة من البلدة في الصباح الباكر لحث كل من كان لديه مخاوف الى الاضراب والوقوف الى جانب قضيته، قضية جميع الناس العادلة، حيث ان سيف المصادرة لم يعبر عن اية قرية عربية. كذلك كان القرار بعقد اجتماع شعبي في يوم الأرض نفسه في البلدة.

في صباح يوم الأرض استفقنا في الرابعة صباحا على أخبار سقوط الشهيد خير ياسين في عرابة البطوف والمواجهات مع الشرطة في قرى البطوف. ثار الدم في عروقنا واندفع الرفاق للخروج الى قرى البطوف، لكن قيادة الحزب منعتنا من ذلك، ومع تواصل اخبار الهجوم البوليسي على البلدان العربية وسقوط الشهداء زاد الضغط وأصبح النقاش حول مخاطر عقد الاجتماع الشعبي في البلدة، لكن مع عنفوان الشبيبة والقيادة الحكيمة للحزب اصر أبو مازن ورفاقه على عقد الاجتماع مع حراسة واسعة من قبلنا ورجال البلد لهذا الاجتماع، وفعلا كان هذا يوما تاريخيا في الرامة، حيث أضربت الرامة عن بكرة أبيها معلنة سخطها على الجرائم الوحشية وهرعت القرية بجماهيرها الغفيرة الى قاعة وساحات كنيسة الروم الأرثوذكس واشترك في الاجتماع الألوف التي عبرت عن سخطها وغضبها ليس فقط على المصادرة بل على الجرائم التي ارتكبتها السلطة في قرانا العربية، ووقف المشاركون دقيقة حداد على أرواح الشهداء الأبرياء وتكلم في الاجتماع المحامي إبراهيم ارشيد، الشيخ فرهود فرهود، الأب نقولا خوري، الأب الياس صباغ، الشاعر عوني سبيت، الدكتور خليل نخلة، الشاعر سميح القاسم واختتمها الرفيق كمال غطاس. وانتهى الاجتماع بسلام وبقوة وإصرار على مواصلة النضال لمنع مصادرة الأراضي وضد سياسة القتل والاجرام بحق شعبنا.

بعد شهرين تقريبا، في ٢٤ أيار، عقد رئيس الحكومة رابين اجتماعا مع رؤساء السلطات المحلية، حيث رفض مطالب الرؤساء: بوقف مصادرة الأراضي، إقامة لجنة تحقيق بأحداث يوم الأرض، تعويض المتضررين وإعادة المفصولين من عملهم. وكان هذا درس للرؤساء الذين اذعنوا للمؤامرة على الاضراب، حيث عادوا بخفي حنين.

يوم الأرض كان نقطة تحول تاريخية حيث جمع بين النضال المدني والقومي من ناحية ومن ناحية أخرى كان درس في أهمية الوحدة النضالية لشعبنا والقيادة الحكيمة للحزب الشيوعي وقدرته على توحيد الجماهير في النضال من اجل مطالبها وحقوقها العادلة.

**الرامة- اذار 2026**

# النقب في يوم الأرض: صمود وثبات

عقاب العواودة

في الذكرى الخمسين ليوم الأرض، يعيش ٣٣٠,٠٠٠ عربي بدوي فلسطيني في النقب على ٣٪ فقط من أراضيهم التقليدية، رغم أنهم يشكلون نحو ٣٧٪ من سكان المنطقة. قبل النكبة، كان سكان النقب العرب البدو يشكلون نحو ٨٠-١٠٠ ألف نسمة يعيشون في مئات القرى على أراضٍ واسعة تعتمد على الرعي والزراعة. بعد النكبة، تعرضوا لتهجير واسع، وبقي في النقب نحو ١٠,١٢ ألف نسمة فقط، وتم مصادرة حوالي ٩٠٪ من أراضيهم التقليدية، ما أدى إلى تضييق المساحة المعيشية وإجبارهم على البقاء ضمن مناطق محدودة جدًا.

ما يحدث اليوم هو سياسة تطهير عرقي وامتداد لنهج حكومات إسرائيل المتعاقبة التي تتعامل مع قضية النقب بشقيها الأرض والإنسان من منظور أمني، وبسياسة تجميع أكبر عدد من عرب النقب في أصغر مساحة ممكنة. تنفذ هذه السياسة من خلال مخططات عديدة، أبرزها: مخطط التركيز لترحيل سكان القرى غير المعترف بها إلى أربع بلدات مكتظة، مخطط إقامة خمس مستوطنات على خط ٢٥ لإنشاء مستوطنات يهودية جديدة وتهجير السكان، ومخطط المباني المتنقلة والكرافانات لإجبار السكان على العيش في وحدات مؤقتة ضمن مساحات ضيقة لتسهيل الإخلاء لاحقًا. أما الهدم والترحيل فقد طالت قرى كاملة مثل أم الحيران وأبو عصا، فيما تواجه قرى مثل رأس جرابا، البقيعة، والسر أوامر إخلاء مستمرة.

تشير الإحصاءات الحديثة إلى تصاعد الهدم بشكل صادم، حيث ارتفعت عمليات الهدم من ٢,٨٥٠ في ٢٠٢٢ إلى ٥,٧٤٢ في ٢٠٢٥، وارتفع تنفيذ الأحكام القضائية ضد السكان بنسبة ١٦٨٪، بينما فتح الملفات القضائية الجديدة ضدهم ارتفع ١٧٧٪.

في يوم الأرض، الحديث ليس مجرد ذكرى، بل صراع وجودي مستمر. عرب النقب يواجهون تهجيرًا مستمرًا، مصادرة لأراضيهم، ضغطًا اقتصاديًا واجتماعيًا، وحرمانًا من التخطيط والبنية التحتية، في مقابل امتيازات واسعة للتجمعات اليهودية. هذه السياسات الصامتة تهدد حق البدو في العيش الكريم والحفاظ على أرضهم التي عاشت عليها أجيالهم لقرون، وتفرض عليهم التمسك بالصمود والثبات في وجه مخططات الترحيل والمصادرة المستمرة.

# عشية الذكرى المجيدة الخمسين ليوم الارض الخالد

## عمر سعدي

في عشية كل ذكرى ليوم الأرض الخالد، ومنذ الذكرى الأولى، تستنهضني ذاكرتي لأدوّن حادثة من مأثرة يوم الأرض الخالد، نستذكرها للجيل الذي جاء بعد يوم الأرض. وكما في السنوات الماضية سأتناول في هذه الذكرى أهم حدث وقع في يوم الأرض يوم الـ٣٠ من آذار، والقصة التي أرويها رواية صادقة وحقيقية وليست من نسيج الخيال، وأنا شاهد عيان على ما حدث.

ففي ضحى يوم الأرض، توغلت ثلة عسكرية مؤللة بأربع مجنزرات في حي العاصلة، كانت تجوب شوارع القرية لتدب الرعب في نفوس الجماهير، وفي طريقها للخروج وجدت نفسها محاصرة في كمين من كوكبة من الشباب في زقاق في حي عائلة نصار، وقد أقفل الشباب الزقاق بإشعال الإطارات، ليتصاعد الدخان واللهب يعانقان السماء، والشباب يمطرونهم بالحجارة والزجاجات الحارقة، ومن أجل فك الحصار أخذت الثلة العسكرية بإطلاق الرصاص الحي نحو مصدر قذف الحجارة، وعندما باءت المحاولة بالفشل ولم تجد نفعاً قام قائد الفرقة يطلب النجدة بالاتصال باللاسلكي مع مركز قيادته المرابضة في أرض الملّ شمال القرية بقيادة الجنرال رفائيل إيتان قائد المنطقة الشمالية العسكرية، الذي كان يشرف بنفسه على الاعتداء على جماهير تلك القرى، وبدوره وجد الجنرال نفسه مضطراً ليهاتف رئيس المجلس المحلي، ففي تمام الساعة الثانية عشرة قام الجنرال إيتان وهاتف رئيس المجلس المحلي طيب الذكر السيد محمود نعامنة وطلب منه لقاءً مستعجلاً، في تمام الساعة الثانية عشرة في منطقة تدعى أرض البركة حيث تُقام عليها اليوم المدرسة الإعدادية (مفعال هبا يس). استجاب الرئيس للطلب وذهب للقاء الجنرال برفقة إمام القرية الشيخ كايد نجار وسكرتير المجلس السيد مصطفى لهواني رحمة الله عليهما، ولم تمض بضع دقائق على وصول الوفد إذ بمروحية عسكرية تقل الجنرال مع بعض الضباط تهبط في المكان. استقبل رئيس المجلس والوفد المرافق له الجنرال ومرافقيه، بدأ الجنرال بالحديث بالتهديد وطلب من الرئيس العمل على فك الحصار حالاً عن تلك الفرقة المحاصرة بأسرع وقت، وإلا سيقوم بهدم القرية. لم ينل التهديد من عزيمة ورباطة جأش رئيس المجلس الذي تحلّى بالشجاعة والجرأة، فرد مخاطباً الجنرال: أنت لك طلب ونحن لنا طلب، طلبنا أن تفك الطوق عن القرية وأن تسحب القوات المتواجدة في المنطقة التي تحاصر قرى يوم الأرض.

إذعن الجنرال والوفد المرافق له لطلب الرئيس. انفض الاجتماع وعاد الرئيس وعقد جلسة طارئة لأعضاء المجلس، تقرر فيها إنقاذاً وحفاظاً على سلامة القرية أن يقوم الأعضاء بالاتصال مع أفراد تلك الكوكبة من الشباب لإزالة حاجز النار والكف عن قذف الفرقة بالحجارة، فقد استجابت تلك الكوكبة من الشباب لطلب رئيس المجلس، وتم إيقاف الرجم وإزالة الحاجز الناري، وهكذا تسنى للفرقة فرصة مواصلة طريقها برفقة أعضاء المجلس، وعندما عادت الفرقة العسكرية سالمة إلى قاعدتها لم ينكث الجنرال بوعده، وعندما أزفت الساعة الثانية بعد الظهر شاهد أهالي عرابة بدء تحرك القوات وانسحابها من مواقعها في أرض الملّ ومن الهضاب المحيطة بالقرية، كذلك جرى العمل على انسحاب العساكر من منطقة دير حنا وسخنين، لينتهي اليوم بانتصار إرادة الشعب، ولتتوّج تلك الكوكبة من شباب عائلة نصار أعظم انتصار في تاريخ مقارعة السلطات الظالمة الحاكمة، ولينتهي يوم الأرض في الـ٣٠ من آذار بهذا النجاح الباهر.

عاشت الذكرى الخمسين ليوم الأرض الخالد، عاش يوم الأرض المجيد الخالد.

المجد والخلود لشهدائنا الأبرار.

# يوم الأرض لم يأتِ من فراغ ولم يكن قدراً من السماء

## مريد فريد

في الثلاثين من آذار الجاري تحل الذكرى الخمسين ليوم الأرض المجيد. من حظي التاريخي الجيد أنني عشت تلك الأيام المجيدة وكنت من أحد الذين كان لهم دور ومسؤولية تاريخية متواضعة في إنجاح يوم الأرض. أقول هذا بكل تواضع. من المعروف أن يوم الأرض لم يأتِ من فراغ ولم يكن قدراً من السماء. مهم جداً أن تعرف الأجيال الطالعة، وبالذات الشباب والشابات، خلفية يوم الأرض. ماذا سبق يوم يوم الأرض؟ أية قوى سياسية كانت منظمة وفاعلة بين الجماهير العربية؟!! في تلك الفترة، عشية يوم الأرض، كانت حملة مصادرة لما تبقى من الأراضي العربية في الجليل، المثلث، النقب. أقرت الدولة هذه المصادرة بأساليب شتى في منطقة ٩ في البطوف. هذا الأمر أثار غضباً شديداً بين الجماهير العربية.

القوة السياسية المنظمة الأساسية بين الجماهير العربية كان الحزب الشيوعي، والذي توج نشاطه التاريخي بواسطة جبهة الناصرة التي أوصلت القيادي الشيوعي الشاعر توفيق زياد لقيادة بلدية الناصرة. كان ذلك حدثاً هاماً جداً. أول شيوعي في الشرق الأوسط يرأس بلدية، وآية بلدية، الناصرة، وبواسطة تحالف جبهوي بقيادة الحزب الشيوعي الأممي اليهودي العربي الأممي. لذلك لم يكن صدفة أن الحزب الشيوعي كان قائد لجنة الدفاع عن الأراضي العربية قطرياً وفي المناطق وفي الفروع المحلية، لأنه لم تكن تنظيمات سياسية وطنية سوى الحزب، الجبهة، بقيادة وتأثير جبهة الناصرة ورئيسها القائد الجديد توفيق، وأبناء البلد، وشخصيات وطنية غير مؤطرة سياسياً وتنظيمياً.

مشاركة حاشدة في المسيرة القطرية المركزية في عرابة إحياء ليوم الأرض

ليس سراً أن الحزب الشيوعي أقام غرفة عمليات منظمة لمتابعة الإعداد لإضراب يوم الأرض من الرفاق العرب واليهود، وعلى رأسهم الرفيق توفيق زياد، رئيس بلدية الناصرة. لجنة الدفاع عن الأراضي القطرية لعبت دوراً كبيراً جداً ومفصلياً في التحضير وفي إنجاح يوم الأرض المجيد. الدولة بزعامة جنرال تكسير عظام أبناء شعبنا الفلسطينيين، رئيس حزب العمل ورئيس الحكومة رابين، وزملائه بين الجماهير العربية، وعملاء حزب المفدال وغيرهم، عملوا كل ما في وسعهم لمنع الإضراب. قمة تلك المحاولة كانت اللقاء الذي سبق الثلاثين من آذار، والذي قرر بأكثرية الرؤساء إلغاء الإضراب، إلا أن الحركات السياسية الوطنية ولجان الطلاب الجامعيين والثانويين العرب تصدوا واشتبكوا مع الشرطة، وهناك خرج رئيس بلدية الناصرة الجديد توفيق زياد، مدعوماً من ستة رؤساء مجالس محلية، ومنهم رئيس مجلس أم الفحم محمد مصطفى حاج داوود، وزأر زياد أمام الجماهير والشرطة قائلاً جملته الشهيرة: الشعب قرر الإضراب.

نحن في منطقة المثلث الحزبية ومنطقة الشبيبة الشيوعية رأينا بذلك مهمة حزبية وطنية من الطراز الأول. طُلب من فروع الحزب والشبيبة الشيوعية تفعيل لجان الدفاع عن الأراضي في مثلثنا الصامد، الذي يمتد من كفر قاسم الجريحة من الجنوب حتى زلفة حارسة مرج ابن عامر السليب. كانت مهمتي الأساسية حين ذاك تجهيز النشاط بين الشباب والطلاب الثانويين في المنطقة لإنجاح الإضراب وإفشال المؤامرة السلطوية، المباي والمفدال، الأذلاء والخدام للسلطة الظالمة.

للحقيقة التاريخية، أذكر أننا في منطقة الشبيبة الشيوعية في المثلث عملنا بتوجيه الحزب قطرياً ومنطقياً وفي الفروع من أجل إنجاح الإضراب، رغم محاولة السلطة الظالمة إفشال الإضراب بواسطة ضغط الرؤساء الموالين لها آنذاك في المثلث وبعض المدراء في المدارس، وبالذات الثانوية، إلا أن رفاق الشبيبة الشيوعية وحلفاءهم الشرفاء في المدارس الثانوية استطاعوا تجنيد لجان الطلاب، وهكذا أضربت المدارس الثانوية بالرغم من كل الضغوطات. في حينه نلنا كشبيبة شيوعية كل التقدير من قبل منطقة الحزب. كما يعرف الجميع، سقط شهيد في مثلثنا الصامد في مدينة الطيبة، الطيبة الصامدة، نتيجة لنجاح الإضراب شنت السلطة الظالمة بواسطة شرطتها حملة إرهابية قمعية ضد رفاقنا القياديين، اعتدوا جسدياً على رفيقنا ابن مدينة الطيبة القيادي عبد القادر ظاهر، مما اضطرنا لإرساله إلى الاتحاد السوفييتي للعلاج والنقاهة.

سوف نحيي ذكرى يوم الأرض المجيد في ظروف صعبة جداً: عدوان على غزة العزة، إذلال، تجويع، تطهير عرقي، والآن عدوان على إيران ولبنان وملاحظات سياسية. علينا التعلم من يوم الأرض المجيد، أهمية التحالفات الوطنية السياسية المدنية على برامج حد أدنى وطنية تضع سلم أولوياتها التمسك بالأرض والوطن وحقوق شعبنا الفلسطيني العادلة بإنهاء الاحتلال وإقامة دولته المستقلة على ترابه الوطني وعاصمتها القدس الشريف. وعلى رفع رؤوسنا للسماء هاتفين: اليد تلاطم المخرز، لأن اليد هي التي تصنع المخرز.

عمـــال العرب الدروز

ربوا فى يـــوم الارض

حيفا ــ نشرت صحيفة هآرتس فى ١ــ٤ نبا لمراسلها فى الجليل الغربى قال فيه انه تبين من تلخيص الاضـــراب العام فى يوم الارض أن العمال العرب الدروز أضربوا تماما عن العمل فىذلك اليوم . وان مصنع قضمانى فى بركـا لم يكن مكان العمل الوحيد الـــذى أضرب فيه العمال الدروز فى ذلـــك اليوم . وقد لوحظ أن العمال الدروز تغيبوا عن العمل حتى فى أماكن العمل التى جاء فيها بعض العمال العـــرب الاخرين الى العمل .

# في الذكرى الخمسين ليوم الأرض

استأجرنا شاحنة حوّلناها إلى منصة، وجلبنا براميل الماء للشرب، ووزعنا المناشير وكتبنا الشعارات بخط الطالب المبدع عايد علي الصالح. كان الطلاب يذهبون إلى العشائر، فيتلو أحدهم نص المنشور أمام الرجال في "الشقّ"، بينما تتوجه الطالبات إلى النساء لشرح أهمية يوم الأرض. هكذا اشتعلت شرارة النضال في النقب.

**شحدة بن بري**

عندما نحيي الذكرى الخمسين ليوم الأرض، فإننا لا نستعيد مجرد حدث عابر، بل نستحضر المحطة الأكثر تأثيرًا في تاريخ نضال الأقلية العربية الفلسطينية في إسرائيل من أجل التمسّك بأرضها، وصون وجودها الكريم في وطنٍ لا وطن لها سواه.

ابتدأ النضال لأجل قضية الأرض منذ اليوم الأول للنكبة، حين واجه الفلسطينيون المشروع الأكبر والأخطر للتهجير القسري في تاريخهم. فقد الناس بيوتهم، وهُجّروا إلى مناطق أخرى، وأقيمت على أراضيهم مستوطنات، فيما هُدمت البيوت وصارت أثرا بعد عين وهكذا وجد كثيرون أنفسهم، إن لم يصبحوا لاجئين منفيين خلف الحدود، قد تحوّلوا إلى لاجئين داخلها.

ولعل من أبرز الأمثلة على سياسات التهجير ما حدث في قريتي إقرث وبرعم، حيث خُدع سكان القريتين حين طلب منهم مغادرة بيوتهم مؤقتًا بحجة إجراء تدريبات عسكرية، على أن يعودوا بعد عدة أشهر. هذه الحيلة نفسها استُخدمت في النقب. ورغم أن المحكمة العليا قضت بوجوب إعادة سكان إقرث وبرعم إلى قراهم، فإن الدولة رفضت تنفيذ القرار، وما تزال تصر على منع عودتهم، بحجة أن ذلك قد يشكل سابقة يمكن أن تنطبق على حالات أخرى، وخصوصًا على عرب النقب.

لقد صادرت دولة إسرائيل من عرب النقب أكثر من مليون ونصف المليون دونم من الأراضي، تحت ذرائع قانونية مختلفة، منها قانون أملاك الغائبين لعام ١٩٥٠، وقانون استملاك الأراضي لعام ١٩٥٣، ثم القوانين اللاحقة مثل قانون استملاك الأراضي في النقب (في أعقاب اتفاقية السلام مع مصر) لعام ١٩٨٠، وكان هذا القانون الأخير في الواقع إضافة جديدة إلى سلسلة المظالم التي بدأت منذ الخمسينيات.

الأمر نفسه حدث في الجليل، حيث أُضيفت إلى قوانين المصادرة التي شرعت في الخمسينات قرارات جديدة بحجة «تطوير الجليل»، فصودرت أراض تعود لبلدات عرابة وسخنين ودير حنا. وهكذا تحوّل النضال من أجل الدفاع عن الأرض إلى نضال وجودي مصيري بالنسبة للأقلية العربية الفلسطينية.

لم يكن يوم الأرض يومًا عاديًا، ولم يكن انفجار غضب عفويًا، بل كان يومًا جرى التخطيط له بعناية من قبل قيادة الأقلية العربية. ففي السنة التي سبقت هذا اليوم، بدأ السكان العرب يرفعون راية النضال ضد مصادرة الأراضي، خصوصًا في ظل فرض ضريبة الأملاك وتوسّع عمليات المصادرة في الجليل.

الحزب الشيوعي الذي خرج منتصرا في انتخابات بلدية الناصرة استفاد من الشراكة في هذه الانتخابات التي خاضها تحت قائمة جبهة الناصرة، كان قائد هذا النضال وقاده بحكمة، باحثا عن شراكات الى جانب المنظمات والشخصيات الوطنية العربية في إسرائيل، ومع القوى اليهودية التقدمية، فتمكنت هذه الشراكات أن تخلق أوسع وحدة ممكنة حول قضية الأرض.

منذ أيار ١٩٧٥ بدأت مشاورات مكثفة، عُقد معظمها في حيفا والناصرة، لتنظيم رد مناسب على سياسات المصادرة. وقد أفضت هذه المشاورات إلى تشكيل اللجنة التحضيرية لمؤتمر الدفاع عن الأرض وفي العاشر من أيلول ١٩٧٥ نشرت اللجنة التحضيرية بيانًا دعت فيه إلى عقد مؤتمر قطري في دار سينما ديانا في الناصرة ليوم ١٨ تشرين الأول ١٩٧٥. وقد طُلب مني آنذاك أن أتكفّل بإحضار وفد من وجهاء النقب، فقمت بهذه المهمة، وهكذا شارك لأول مرة ممثلون عن عرب النقب في المؤتمر، وقد ألقى كلمة عنهم الشيخ موسى العطاونة. أنتخب المؤتمر لجنة قطرية للدفاع عن الأراضي لتي اختارت سكرتاريا شملت الرفيق صليبا خميس الذي أسند اليه الحزب الشيوعي تركيز هذه اللجنه التي ترأسها ، القس شحاده شحاده الشخصية الوطنية البارزه وكان من بين أعضائها المحامي محمد معياري الذي كان يرافع عن قرية عرب المفجر ضد ترحيلهم ويرافق رئيس القرية البطل علي القيسي الذي رفض التهجير وقبع لفترة طويله في السجن عقاب له على هذا الرفض أما حنا نقاره فقد كان حاضرا وموجها وملخصا للمؤتمرات لمكانته الرفيعه وتجربته الغنية.

أثار حضور مشايخ عرب النقب المؤتمر ضجة لدى السلطات، لأن الربط بين عرب النقب وعرب الجليل والمثلث كان دائمًا مصدر قلق للحكم في إسرائيل، الذي حاول مرارًا فصل البدو عن بقية أبناء الشعب العربي وتحويلهم إلى جماعة منفصلة.

وإلى جانب مصادرة الأراضي في النقب، كانت هناك سياسة أخرى لا تقل خطورة، تمثلت في تركيز السكان العرب في بلدات محدودة، بدءًا بتل السبع ثم رهط. وكان الهدف المعلن هو حشر السكان في مساحات ضيقة، والقضاء على إمكانية ممارسة نهج حياتهم التقليدية القائمة على الرعي والزراعة، وهي حياة تحتاج إلى مساحات واسعة من الأرض.

أمام هذه السياسات، أصبحت حالات السخط والتحدي مسيطرة على الجو العام لدى الأقلية العربية بأشملها. كنت آنذاك رئيسا للجنة الطلاب العرب وناشطا في صفوف الحزب وفي الإطار القطري الذي عمل على تنفيذ قرارات لجنة الدفاع عن الأراضي. وقد انضم عدد من الطلاب إلى هذا النضال وساهموا في إنجاحه.

في السادس من آذار ١٩٧٦ تقرر، خلال اجتماع في الناصرة، إعلان إضراب قطري احتجاجًا على مصادرة الأراضي، وتنظيم مظاهرة في القدس في اليوم نفسه. لكن الحكومة قررت قمع الإضراب بكل قوة.

مشاركة حاشدة في مهرجان إحياء الذكرى الـ 46 ليوم الأرض في النقب

كانت مهمتنا ضمان نجاحه. وزعنا آلاف المناشير في سوق الخميس في بئر السبع، وتنقلنا بالحافلات سيرًا على الأقدام بين العشائر لنشر الدعوة إلى الإضراب.

في المقابل حاولت السلطات إفشاله بكل الوسائل، مستخدمة سياسة «فرّق تسد»، عبر طرح أسئلة من قبيل: ما شأنكم بعرب الشمال؟ لكن تلك المحاولات فشلت، لأن الألم كان واحدًا والتحديات مشتركة.

بصفتي طالبًا جامعيًا آنذاك، اتفقنا نحن مجموعة من الطلاب العرب على الاجتماع عشية يوم الأرض للتحضير لتظاهرة في الجامعة في اليوم التالي. كتبنا منشورًا بالعبرية لتوزيعه، وقسمنا أنفسنا إلى مجموعات لإبلاغ الطلاب. طرقنا الأبواب وشرحنا ما ينبغي القيام به، واتفقنا على أن تكون المظاهرة صباح يوم الأرض قرب مبنى المكتبة داخل الجامعة.

كانت الأجواء متوترة، إذ وصلت أنباء عن سقوط ضحايا في الجليل. ومع ذلك خرجنا للتظاهر، حوصرنا من كل جانب بقوات الشرطة، وفرض حولنا حظر تحرك غير معلن.

حتى توزيع المنشور واجه صعوبات، لكن بعض المتضامنين ساعدونا، واستطاع الممثل يوسف أبو وردة الذي كان يعمل في المسرح البلدي أن يحضر المنشورات من المطبعة وأن يوزعه من الخارج. بينما كنا نجلس على العشب نحمل اللافتات، فجأة، ظهر شرطيان بزي مدني وطلبا مني أن أرافقهما «لربع ساعة». قررنا ألّا ندخل في مواجهة مع الشرطة، وقلنا وعلى مسمع الجميع إنه إن لم تكن المسألة لربع ساعة فسنعرف كيف نتصرّف.

اقتادوني إلى مركز الشرطة، وهناك حاولوا إقناعي بالتأثير على أصدقائي كي يتفرقوا، لكنني رفضت وقلت كيف لنا أن لا نتظاهر وإخوتنا يقتلون واحتدم النقاش، عندها قال أحد رجال الشرطة: «لنُعِده فورا من حيث أخذناه، فقد وعدنا أن نأخذه لربع ساعة فقط، كي تنشب اضطرابات هنا أيضا».

عدت إلى رفاقي الذين فرحوا برؤيتي، وكان التشجيع لنا واضحًا عندما جاءت مجموعة من المحاضرين للاحتجاج على دخول الشرطة الحرم الجامعي وانتزاعي من بين المتظاهرين.

ومنذ ذلك اليوم، ولسنوات طويلة، قدنا نضالات الطلاب في جامعة بن غوريون، وكذلك النضال حول الأرض في النقب. نظم الطلاب عشرات الاجتماعات في قاعة «بيت يتسيف» وفي الجامعة، وتولوا بأنفسهم تنظيم مهرجانات يوم الأرض في تل السبع واللقية وغيرها.

استأجرنا شاحنة حوّلناها إلى منصة، وجلبنا براميل الماء للشرب، ووزعنا المناشير وكتبنا الشعارات بخط الطالب المبدع عايد علي الصالح. كان الطلاب يذهبون إلى العشائر، فيتلو أحدهم نص المنشور أمام الرجال في «الشقّ»، بينما تتوجه الطالبات إلى النساء لشرح أهمية يوم الأرض.

هكذا اشتعلت شرارة النضال في النقب.

اعتُقل كثير من الطلاب خلال هذه النشاطات، لكن الاعتقالات لم تُخمد الحماس، بل شجعت آخرين على الانضمام إلى النضال. حتى تل السبع، التي لم تعرف المظاهرات من قبل، أصبحت تحتضن مهرجانات يوم الأرض عامًا بعد عام.

وفي تلك المهرجانات التي توليت عراقتها حتى عام

# ...ف

١٩٨٢ وقف وللمرة الأولى أمام جمهور النقب شعراء ومثقفون وقيادات من الجليل والمثلث، مثل سميح القاسم، صليبا خميس، إميل حبيبي، إلى جانب شخصيات من النقب مثل الدكتور يونس أبو ربيعة ونوري العُقبي والشيخ عودة أبو سريحان وموسى العطاونة وسلامه الهزيل وعضو الكنيست حمّاد أبو ربيعة وغيرهم.

بعد مرور يوم الأرض كان الطلاب يجلسون معًا لتقييم ما جرى واستخلاص الدروس. ومن بين أولئك الذين انضموا إلى هذا المسار النضالي أذكر كل من ثابت أبو راس الذي حل لاحقا محلي كرئيس لجنة الطلاب العرب، ونسرين مرقس وسلمى قسطه وجمال تايه وإبراهيم خلايلة ورفيق الحاج وفوزي موسى ومحمد كنعان وعفيف صفيه وعمر سعيد وعوض عبد الفتاح وغيرهم الكثير، الذين أصبحوا فيما بعد قادة للحركة الطلابية ورؤساء وأعضاء في لجان الطلاب وقادة لشعبهم.

بعد ذلك توالت معارك الأرض، وتوالت معها حملات الاعتقال، واتّسعت رقعة المواجهة النضالية واتخذت زخمًا أكبر وأشد. فمن معركة مصادرة عشرات آلاف الدونمات من أراضي تلّ الملح، إلى معركة مصادرة أراضي أبو قرن في اللقية، وصولًا إلى جريمة مصادرة الأرض وتشريد عائلة أبو صلب، وقنص واغتيال الشهيدة غنيمة أبو القيمه التي أُرديت قتيلة وهي تحتضن طفلها الرضيع برصاص ما سُمّي بـ «الدوريات الخضراء». ثم جاءت المعركة ضد تهجير المناضل البطل الراحل محمد الرياطي من غربي بئر السبع.

في خضمّ هذه المواجهات، تحوّلت الاعتقالات إلى مشهد يومي مألوف، يكاد لا يغيب عن حياتنا اليومية. فكان اعتقالي خلال معركة مصادرة أراضي أبو قرن وتمديد توقيفي لأسبوع بقرار من المحكمة، ثم اعتقال آخر تزامن مع زيارة الرئيس أنور السادات، وتوالت بعد ذلك الاعتقالات، لتطال لاحقًا طلابنا وطالباتنا أيضًا. ومن بينهن نسرين مرقس، ذلك الاعتقال الذي أقلق والدتها الرفيقة نبيهة مرقس، التي تساءلت بتعجب وفخر وتحدي «وليش ما اعتقلوا كمان أختها روضة معها؟».

كما شملت الاعتقالات الرفيق خالد العبرة، وغيرَه كثيرين، ومن بينهم الطالبات دعدعساف وفاطمة هريش، وصالح نجيدات وعوض عبد الفتاح، إلى جانب عبد الله الصانع وعلي الأسد والكثير من الآخرين.

نعم كان النقب حاضرا بمعاركه اليومية وكانت لجنة الدفاع عن الأراضي شريكة في صنع هذه المعارك إذ تحولت شقتي الصغيرة المستأجرة إلى بيت يأوي قيادات لجنة الدفاع كالرفيق صليبا خميس والقس شحادة شحادة رحمهما الله والذين راقبوا ورافقوا نشاطاتنا اليومية كما وكنت أقمت لأيام متفرقة، وفق الحاجة، في حيفا في بيت الرفيق صليبا خميس حينما كنا بحاجة لتحضير مواد حول يوم الأرض كالكتاب الأسود وغيرها من مطبوعات.

نعم لقد نهضت الأقلية العربية من جديد بعد يوم الأرض. يوم صنعته سواعد أبنائه وبناته لا أياد خارجية مستقدمه. وعلى الرغم من مرور خمسين عاما كان وما زال عصي على النسيان، حاضرا بكل تفاصيله ودروسه ومعانيه، خاصة، في ظل سياسة الهدم والتمييز العنصري التي تمارسها حكومات اسرائيل المتتالية.

**بئر السبع، آذار ٢٠٢٦**

# يوم الأرض: ثلاث ذكريات وفكرة واحدة عن المستقبل

**دوف حنين**

## بيت الأهل في يوم الأرض

تبدأ ذاكرتي الأولى عن يوم الأرض ١٩٧٦ قبل ذلك اليوم بعدة أيام. كنّا نسكن آنذاك في شقة صغيرة مستأجرة في وسط تل أبيب، غير بعيد عن نادي الحزب. كان أبي، «الرفيق ساشا»، كما كانوا ينادونه في الحزب حينذاك، مسؤولًا عن تنظيم الحزب وعن عمل سكرتارية الحزب. وفي العادة، كان ينهي يوم عمله في ساعات ما بعد الظهر ويعود إلى البيت ليتناول معنا عشاءً مبكرًا، قبل أن يخرج إلى الاجتماعات واللقاءات المسائية في الحزب.

في الأيام التي سبقت يوم الأرض، لم يكن أبي يصل إلى وجبات العشاء المبكرة. وأظنّ أنه كان في تلك الأيام خارج المدينة، في المثلث أو في الشمال. وفي مساء يوم الأرض نفسه، بل وفي يوم الأرض أيضًا، لم يعد أبي إلى البيت حتى للنوم. لم يفاجئنا ذلك. كنّا نعرف أنه حين يكون الوضع متوترًا فإن أبي «يختفي». وطفلًا صغيرًا، أذكر أنه في عام ١٩٦٧ لم يكن في البيت لأكثر من أسبوع خلال أيام الحرب.

ولم يخبروني إلا بعد سنوات بأن ذلك كان في الحقيقة جزءًا من مهمته: تشغيل الحزب في حالات الطوارئ وتحت الملاحقات والاعتقالات. لقد تعامل مع هذه المهمة بجدية ومسؤولية. فهو انضم إلى الحزب فتىً في أيام الانتداب، عندما كان الحزب يعمل في السرّية، بل وسُجن في السجون البريطانية بسبب نشاطه. ومن منظوره، كان ينبغي دائمًا الاستعداد لاحتمال أن يُعاد إخراج الحزب إلى خارج القانون. وكانت الرفيقة تمار غوجانسكي تقول دائمًا مبتسمة: «يمكن إخراج ساشا من العمل السري، لكن لا يمكن إخراج العمل السري من ساشا».

## شارع ديزنغوف مساء يوم الأرض

لقد أدهشتني الأخبار التي بدأت تصل إلى تل أبيب في يوم الأرض نفسه. كنت أعلم أن ذلك اليوم سيشهد اعتقالات وقمعًا. لكنني لم أكن أتصور آنذاك أن قوات الجيش والشرطة ستطلق النار فعلًا على المتظاهرين وتقتل ستة منهم.

وسرعان ما انتظم الحزب في تل أبيب، وفي اليوم نفسه طُبع منشور للتوزيع. ففي الزمن الذي سبق شبكات التواصل الاجتماعي، كانت تلك هي وسيلتنا لنشر المعلومات وإبلاغ الجمهور بمواقفنا. ونحن في الشبيبة الشيوعية في تل أبيب، جُنّدنا لتوزيع المنشور مساءً في شارع ديزنغوف، الشارع المركزي في تل أبيب في تلك الأيام.

كان ذلك المساء عسيرًا. فمنذ ساعات الظهيرة من ذلك اليوم راحت الإذاعة تبث روايات دعائية عن انتفاضة جرت في صفوف السكان العرب، وعن جنود ورجال شرطة تعرّضوا، بحسب الزعم، لهجمات واضطروا إلى الدفاع عن أنفسهم بإطلاق النار. ولم تكن المعلومات عن التعليمات التي أصدرها في ذلك الوقت رئيس الأركان رفائيل إيتان معروفة بعد. وكان الناس الذين صادفناهم في الشارع غاضبين منا جدًا. لم يفهموا كيف أن شبانًا من تل أبيب «يقفون إلى جانب العرب»، وكيف نجرؤ على أن نصف ما جرى في ذلك اليوم بأنه قتل. وقد ردّ بعض من كانوا في الشارع بعنف. وعدت إلى البيت في ساعة متأخرة من الليل وأنا أشعر بمرارة شديدة.

## الزيارة إلى سخنين

في الفترة التي تلت يوم الأرض، كانت مهمتنا الأساسية في تل أبيب هي توسيع دائرة الاعتراض على القمع. وكنت يومها ناشطًا في «حلقة الشبيبة اليسارية»، وهي إطار تنظيمي لطلاب مدارس ثانوية كان معظمهم ينتمي إلى دوائر اليسار الصهيوني، كما كنّا نسمّيه آنذاك.

بدأت أقنع أصدقائي في الحلقة بأنه لا بد من الوصول إلى الشمال والاستماع مباشرة إلى شهادات الناس هناك. وقد نجحت في ذلك. وتنظمنا لزيارة منطقة يوم الأرض، ووصلنا، نحن بضع عشرات من الفتيان والفتيات، في زيارة مطولة إلى سخنين وعرابة ودير حنا. واستمعنا إلى شهادات عن المظاهرات وعن القمع. وأذكر كم كانت تلك الأحاديث ذات دلالة عميقة بالنسبة إلى أعضاء الحلقة الذين جاؤوا من دوائر سياسية أخرى. وبالنسبة إلى كثيرين منهم، كان ذلك أول لقاء لهم مع عرب تقدميين. وكانت تلك الزيارة تجسيدًا واضحًا لكيف يمكن للشراكة العربية اليهودية أن تُحدث تغييرًا في طريقة تفكير الناس. وبعض الأصدقاء من ذلك الوقت ما زالوا يذكرونني بهذه الزيارة بين الحين والآخر، عندما نلتقي في التظاهرات.

## فكرة عن المستقبل

نحن نعيش اليوم مرحلة صعبة، لكن الصعوبات والأخطار الكبرى ما تزال أمامنا. ففي ظل الحرب، يجري منذ الآن ترحيل الفلسطينيين في الضفة، وكذلك المواطنين البدو الفلسطينيين في النقب. وقبل سنوات طويلة قال نتنياهو بالفعل إن السكان العرب في إسرائيل هم التهديد الحقيقي. ومن الواضح تمامًا أن السكان العرب هم الهدف التالي، إلى جانب قوى السلام داخل الجمهور اليهودي.

نحن الآن بالفعل في فترة انتخابات. وللأسف الشديد، فإنها انتخابات تُدار حتى الآن من طرف واحد فقط: فنتنياهو وشركاؤه في الحكومة يخوضون حملة انتخابية وهم يتباهون بإنجازاتهم العسكرية. أما أحزاب المعارضة، في معظمها، فتنضم إلى جوقة الحرب، ولا تحارب الحكومة كما كان ينبغي أن تحاربها. وفي ظل هذه المعطيات، قد يفوز نتنياهو وشركاؤه مرة أخرى. وسيكون لمعنى انتصار نتنياهو تبعات بالغة الخطورة. وثمة شك كبير في ما إذا كان الحزب والجبهة سيبقيان قانونيين أصلًا. ومن المؤكد أنه ستُفرض علينا قيود شديدة للغاية. فهل نحن مستعدون لمثل هذا الوضع؟ وماذا ينبغي أن نفعل الآن؟

إن الأمر الأهم، بطبيعة الحال، هو أن نبذل كل ما يمكن لمنع عودة نتنياهو إلى السلطة. ينبغي توحيد القوى، ومنع هدر الأصوات، وتعزيز أشكال التعاون مع كل من يمكن التعاون معه. وبموازاة ذلك، من المهم أيضًا التفكير فيما سنفعله إذا وقع الأسوأ، وأُقيمت بعد الانتخابات حكومة فاشية تُلغي جميع القيود القائمة وتمارس قمعًا متطرفًا.

ثمة الكثير مما يمكن تعلمه من ماضي حزبنا، ومن نشاطه، ومن أساليب استعداده في ستينيات القرن الماضي وسبعينياته. لا يجوز أن نعتبر الحيّز الديمقراطي الضيق الذي نعمل داخله أمرًا مفروغًا منه. ينبغي أن نعرف كيف نتحرك أيضًا إذا اشتد القمع، وأصبحت أشكال نشاطنا الحالية متعذرة. وفي التفكير في ذلك، ثمة ما يمكن تعلمه من تجارب بلدان أخرى، وكذلك من تجربة حزبنا في الماضي.

الأخبار بدأت تصل إلى تل أبيب في يوم الأرض نفسه.. وسرعان ما انتظم الحزب في تل أبيب، وفي اليوم نفسه طُبع منشور للتوزيع. ففي الزمن الذي سبق شبكات التواصل الاجتماعي، كانت تلك هي وسيلتنا لنشر المعلومات وإبلاغ الجمهور بمواقفنا. ونحن في الشبيبة الشيوعية في تل أبيب، جُنّدنا لتوزيع المنشور مساءً في شارع ديزنغوف، الشارع المركزي في تل أبيب في تلك الأيام.

خمسون عاماً على زلزال الوعي:

# من طين البندورة إلى صياغة الهوية

بعد يوم أو يومين، -لا اذكر- جاء المشهد الذي حفر نفسه في داخلي إلى الأبد. جنازة الشهيد محسن طه، حيث خرجت كل كفركنا في جنازته. كانت تلك أول مرة أرى فيها هذا البحر البشري المتماسك، أول مرة أشعر أن الحزن يمكن أن يكون قوة.

د. سمير خطيب

لم يكن الثلاثون من آذار عام ١٩٧٦ مجرد يوم للإضراب، بل كان لحظة «الانفجار العظيم» في وعينا الفلسطيني بالداخل. واليوم، ونحن نقف على عتبة خمسين عاماً من ذلك الحدث، أعود بذاكرتي إلى الوراء، إلى طفلٍ في الثانية عشرة من عمره، لم يكن يدرك حينها أنّ «صوت الرصاص» الذي سمعه وهو يزرع البندورة في سهل كفركنا، سيغير بوصلة حياته إلى الأبد.

خمسون عاماً مرّت، وما زال ملمس التراب الرطب في ذلك الصباح البعيد عالقاً بأصابعي كأن الزمن لم يتحرك خطوة. في الثلاثين من آذار ١٩٧٦، لم أكن أعرف أنني على موعد مع ولادة ثانية؛ ولادة لم تحدث في مستشفى، بل في سهل كفركنا، بين شتلات البندورة، وبين صوت رصاص لم أفهمه يومها، لكنه عرّفني بنفسه باكراً.

كنت في الثانية عشرة، يتيم الأب منذ ثلاث سنوات. خرجتُ مع إخوتي لمساعدة بيت عمي في الزراعة، حيث كان عمي مزارعا كبيرا وبحاجة للمساعدة في الأيام الكبيرة. لجنة الدفاع عن الأراضي أعلنت الاضراب احتجاجاً على مصادرة الأرض، من هي لجنة الدفاع عن الأراضي؟لم اكن اعرف! ولماذا الاضراب؟ وماذا يعني اضراب؟ لم يشرح لي احد ! فقط هو يوم عطلة ، الطلاب في المدرسة سعيدون بان غدا يوم عطلة والكبار ممن حولي يتهامسون ولا اعرف لماذا؟. سرينا مبكرا للسهل، هناك تجمعات للشباب هنا وهناك ولم اعرف لماذا؟ كانت البلد تغلي، أما نحن فكنا في الحقل، نغرس الحياة في الطين بينما صوت الموت يأتينا من بعيد.

في البداية كان الصمت لا يُسمع فيه سوى احتكاك المعاول بالتراب. ثم بدأ يتشقق بدويّ الرصاص والقنابل من جهة البلدة. كانت أصواتاً غريبة على أذن طفل. تساءلت: لماذا يطلقون النار وعلى من؟ هل يمكن أن تصل الرصاصات إلى حقلنا؟ تبادلنا نظرات القلق، لكننا لم نتوقف عن العمل. كنا نريد أن ننهي زراعة الحقل قبل المساء، كأننا ننجز واجباً مقدساً اسمه صلاة البقاء.

عدنا مساءً يرافقنا التراكتور وحميرنا الثلاثة. لم تكن كفركنا التي استقبلتنا هي ذاتها التي غادرناها صباحاً. رائحة الإطارات المحروقة سبقتنا، والحجارة المتناثرة على الشارع بدت كأنها صرخة تجمدت في مكانها. سواد الدواليب رسم خرائط جديدة على الإسفلت. كان الجو هادئاً، لكنه هدوء يضج بالغضب والحزن معا. لقد قتلت الشرطة ابن بلدنا المرحوم محسن طه.

لم أفهم كل شيء، لكنني شعرت أن شيئاً كبيراً انكسر، وشيئاً آخر وُلد.

بعد يوم أو يومين، -لا اذكر- جاء المشهد الذي حفر نفسه في داخلي إلى الأبد. جنازة الشهيد، حيث خرجت كل كفركنا في جنازته. كانت تلك أول مرة أرى فيها هذا البحر البشري المتماسك، أول مرة أشعر أن الحزن يمكن أن يكون قوة.

الجماهير العربية في إسرائيل ستضرب في ٣٠ آذار دفاعاً عن أراضيها رغم الإرهاب

يا عمال العالم اتحدوا!

الاتحاد

AL-ITTIHAD • الاتحاد

الثمن ١٥٠ أغورة 1.50

الجمعة ٢٦ آذار ١٩٧٦ • ٢٥ ربيع اول ١٣٩٦ • العدد ٩١/٢٢

VOL32 — 91 — 26.3.1976

حيفا – مكتب الاتحاد – جاءنا البيان التالي من سكرتارية اللجنة القطرية للدفاع عن الاراضي :

« تعلن اللجنة القطرية للدفاع عن الاراضي ان اضراب الجماهير العربية في اسرائيل يوم ٣٠ آذار ١٩٧٦ احتجاجا على مصادرة الاراضي العربية في الجليل ومناطق اخرى في البلاد سيجرى في موعده المقرر .

ان ما اذاعته وسائل الاعلام الرسمية عن قرار عدد من رؤساء السلطات المحلية العربية هذا المساء ( امس الخميس ) تاجيل الاضراب لا يعبر الا عن رأي شخصي ، ولا يؤثر على قرار لجنة الدفاع عن الارض ولا يعبر عن ارادة الجماهير العربية التي اعلنت بهيئاتها ومؤسساتها المختلفة ، عزمها على الاضراب حيث ان السلطة لم تتراجع عن مخططاتها المصادرة .

وتعلن لجنة الدفاع عن الاراضي انه نظرا لعدم تسلمها موافقة من رياسة الكنيست على طلبها اجراء المظاهرة امام مبنى الكنيست حتى الان ، تقرر تأجيل المظاهرة الى موعد يعلن في حينه » . وقد جاء هذا البيان بعد مسرحية السلطة واعوانها الذي انخذ شكل اجتماع رؤساء السلطات المحلية في شفا عمرو .

الارهاب يفشل اجتماع الرؤساء في شفاعمرو

اعتداء بوليسي واعتقالات

أعضاء مجلس الأمن يجمعون على إدانة الاحتلال الاسرائيلي

الانتفاضة الكبرى في القدس المحتلة تفرض نفسها في أبحاث مجلس الأمن • حتى المندوب الامريكي يضطر الى الاعلان ان الاستيطان يعرقل التسوية • غضب اسرائيل على الموقف الامريكي • أيستخدم المندوب

أن أسمّي ما أشعر به. لكنني أدركت أن يوم الأرض لم ينتهِ مع غروب الشمس، بل امتد في الجنازة، في المشي خلف النعش، في ذلك الشعور بأننا «نحن» أكبر من كل فردٍ فينا.

هناك، قبلَ أن تتشكل أسئلتي، وقبل أن أبحث عن المفاهيم، تشكّل الإحساس. إحساس بأن الأرض ليست تراباً فقط، بل علاقة دم وهوية ومصير.

بعد الجنازة، عاد الخجل يرافقني. زملائي في الصف كانوا يروون تفاصيل المواجهات، وأنا كنت في الحقل يوم الاشتباكات. كنت أجمع شظايا الحكايات من أفواههم لأبني صورة يوم الأرض في رأسي. من ذلك التناقض بين حضوري في الحقل وغيابي عن «المواجهة» وبدأت الأسئلة تتكاثر.

ما معنى مقاومة؟ ما معنى أن يُستشهد شاب في مقتبل العمر في مثل هذا اليوم؟ ما معنى أن تمشي بلدة كاملة خلف نعشٍ واحد؟ لماذا يخاف البعض من كلمة «تنظيم»؟ ولماذا يتوجس آخرون من كلمة «شيوعية»؟

جئت من عائلة محافظة، وطنيتها فطرية، تمارس صمودها بالالتصاق بالأرض والحفاظ على التقاليد. لم نكن منظمين حزبياً. كانت الأخبار تصلنا عبر مناشير تُوزع خلسة أو عبر مكبرات الجوامع. وكانت كلمة «الشيوعية» في بيئتنا محاطة بالريبة وتفسر بمنظور ديني ضيق.

لكنني رأيت في «الرفاق الشباب» شيئاً مختلفاً. كانوا الأكثر وعياً والأعمق ثقافة. وما لم أعرفه حينها، هو أن هؤلاء لم يكونوا مجرد ناشطين – كانوا ورثة مشروع بناء متراكم منذ سنوات: تخريج الشعراء والكتّاب، وتنشئة الأجيال على نفسية الرأس الشامخ، وبناء شبكة من النوادي واللجان والصحافة التي جعلت تحويل الغضب إلى فعل منظم ممكناً حين جاءت اللحظة.

كان اسم توفيق زياد يتردد في كل زاوية، وصوته وهو يقول: «الشعب قرر الإضراب» لم يكن مجرد عبارة، بل خلاصة ما رأيته في الجنازة: أن الشعب يمكن أن يقرر، ويمكن أن يتحرك. ووجدتُ نفسي أنجذب نحو «الشبيبة الشيوعية»، ليس تمرداً، بل بحثاً عن الأجوبة. انضممتُ إلى الشبيبة الشيوعية بعد سنتين في عام ١٩٧٨. لم يكن اختياراً أيديولوجياً بالمعنى الجامد. كان اختيار من يبحث عن رفاق يحملون مصباحاً في ليل ظلامه دامس. وللحقيقة لم يكن الطريق سهلاً لفتى قادم من خارج العائلات المنظمة تاريخياً، فأنا القادم من خارج «النواة الصلبة» للعائلات الشيوعية. لكن طاولات «البينغ بونغ» والنقاشات العميقة كانت جسري للعبور. والتحدي كان داخلياً قبل أن يكون اجتماعياً. قرأتُ «البيان الشيوعي» في الخامسة عشرة. لم أفهم كل تعقيداته، لكنني فهمت جوهره الإنساني: العدل والكرامة. وفهمت لاحقاً لماذا كان راكاح الروح التنظيمية والتعبوية ليوم الأرض ، وكيف جمع بين الشرعية القانونية والعمل الفعلي والثقافة السياسية العميقة في آنٍ واحد.

وجملة «الشعب قرر الإضراب»، لم تكن مجرّد عبارة – بل كانت خلاصة سنوات من التنظيم الصامت تُعلن عن نفسها في الوقت المناسب.

أتذكر جيدا مهامي الأولى؛ توزيع جريدة «الاتحاد» في الحي الشرقي حتى صارت جريدة«الاتحاد» مدرستي النصف اسبوعية. كل ثلاثاء وجمعة، كنت أتسلمها من النادي في غرب البلدة، وأقطع بها كفركنا حتى آخر بيت في الحي الشرقي. لم يكن الأمر مجرد توزيع صحيفة، بل تمريناً على الانتماء. كنت أقرأها قبل أن أطرق الأبواب، لأتحول من موزع إلى محاور. جلسات القهوة والعصير مع الرفاق الكبار علمتني ما لم تعلّمه المدارس؛ علمتني أن الانتماء فعل يومي يبدأ من أصغر تفصيل في الزقاق وينتهي بأكبر قضية في الوطن.

تدرجتُ في المسؤولية حتى أصبحت سكرتيراً لفرع الشبيبة في كفركنا. ومن هناك حملني هذا المسار إلى الدراسة في الاتحاد السوفياتي. لكنني لم أغادر كفركنا في داخلي يوماً. كل كتاب قرأته، كل عمل قمت به، كل رأي صغته او موقف سياسي اتخذته كان يعود بي إلى السهل، إلى صوت الرصاص، إلى جنازة محسن طه.

اليوم، بعد خمسين عاماً، أدرك أن يوم الأرض لم يحرر الأرض من المصادرة فقط، بل حرر وعينا من الصمت. أدرك أن الهوية ليست إرثاً محفوظاً في الذاكرة، بل مشروعاً يُصاغ كل يوم بالفعل والمعرفة.

من طين البندورة إلى فضاء الهوية، كانت الرحلة واحدة في جوهرها: أن نزرع رغم الرصاص، وأن نسير خلف الشهداء لا لنودعهم فقط، بل لنكمل الطريق بعدهم. لأن الحكاية التي بدأت في سهل كفركنا لم تنته، ولأن ذلك الطفل الذي وقف بين الحقل والجنازة ما زال داخلي، يختار كل يوم أن يكمل الزراعة والبناء والتنظيم.

اليوم، بعد خمسين عاماً، أقول: شكراً ليوم الأرض الذي انتشلني من حيرة الطفولة إلى رحابة الوعي. شكراً للأرض التي علمتنا أن «الزراعة» و«المقاومة» هما وجهان لعملة واحدة تسمى البقاء.

# انتصار للإرادة الشعبية، ودعوة مفتوحة للاستمرار

قسطة جرجورة

في الذكرى الخمسين ليوم الأرض، ورغم ظل الظروف التي نمر بها من استمرار الحروب العدوانية وتفشي ظاهرة العنف والجريمة في مجتمعنا،لا يجوز أن تمر هذه الذكرى وكأنها محطة عابرة. فيوم الأرض ليس مجرد حدث في الذاكرة، بل هو لحظة مفصلية تأسيسية في تاريخ نضال شعبنا، لحظة رسخت الهوية ورسخت معنى الفعل الجماعي المنظم.

يُشكل يوم الأرض حدثًا مفصليًا في تاريخ الجماهير العربية الفلسطينية الباقية في وطنها، كونه الإنتفاضة الجماهيرية الكبرى الأولى التي كسرت حاجز الخوف بعد سنوات طويلة من إرهاب الحكم العسكري وسياساته القمعية.لم يكن هذا اليوم مجرد إحتجاج على مصادرة الأراضي، بل لحظة تحوّل تاريخية جعلت الجماهير تثق بنفسها، وعبرت عن قدرتها على الفعل الجماعي المنظم. كما رسّخ يوم الأرض الاعتزاز بالهوية العربية الفلسطينية، مستندًا إلى تراكم وعي لدى أجيال من الشباب الذين قرؤا وتثقفوا من خلال الصحف والمجلات الشيوعية من جريدة الإتحاد إلى الغد والجديد، التي لعب دورًا محوريًا في الحفاظ على اللغة العربية، وتعميق الوعي الوطني وترسيخ الإنتماء والهوية رغم الإنقطاع القسري عن الامتداد العربي.

طالما كان يوم الأرض بالنسبة لي حدثًا أفتخ رغم أنني لم اعشه خاصة في فترة دراستي الأكاديمية في جامعة بيرزيت، ربما لأن قراره وهبته وإنجازاته انطلقت من أرض الجليل وإمتدت إلى سائر أنحاء البلاد، وحتى الضفة الغربية المحتلة وقطاع غزة وصولًا إلى أبناء شعبنا في مخيمات الشتات وفي العالم، ليصبح حدثًا مركزيًا وجزء من الذاكرة الجماعية يحيها شعبنا الفلسطيني في كافة أماكن تواجده.أو لأنه شكّل نموذجًا حيًا لقدرة شعبنا على تحويل الغضب إلى فعل جماعي منظم ومؤثر. كما كونه يرتبط بالدور المركزي الذي لعبه حزبنا الشيوعي والشبيبة الشيوعية في تلك المرحلة في قيادة الإنتفاضة وبالقائد طيب الذكر الرفيق توفيق زيّاد الذي صدح بنداءه التاريخي «الشعب قرر الإضراب» معبرًا عن لحظة استثنائية من الوحدة الشعبية.

لا يمكن تناول يوم الأرض دون التوقف عند الدور الهام الذي لعبته الشبيبة الشيوعية في إنجاح الإضراب والهبة الجماهيرية بين أوساط الشباب. فهذا الدور لم يكن تفصيلًا عابرًا، بل كان تعبيرًا عن موقع الشبيبة كقوة طليعية، ومن هنا فإن هذه التجربة لا تُختزل في الماضي، بل تتحول إلى مسؤولية مباشرة تقع على عاتقنا اليوم، كرفاق ورفيقات في الشبيبة الشيوعية، في ضرورة الحفاظ على هذا الإرث النضالي، لا كذكرى فقط بل فعل حيّ ومتجدد يقود نضالات شعبنا ومجتمعنا في مواجهة التحديات الراهنة، لقد أثبتت الشبيبة الشيوعية عبر مسيرتها أنها لم تكن يومًا ظاهرة ظرفية، بل جزءًا أصيلًا من أي نضال شعبي بين جماهير شعبنا، منذ سنوات الحكم العسكري في الخمسينات والستينات وتراكمت عبر أشكال مختلفة من النضال، حتى بلغت ذروتها في الانفجار الكبير في يوم الأرض، ومازالت تتواصل حتى يومنا هذا.

أما على المستوى الشخصي فإن يوم الأرض يحمل لدى العائلة بُعدًا عميقًا ويحمل جزءًا اساسيًا في ذاكرة العائلة دون عن غيرها من المعارك النضالية فجدي طيب الذكر الرفيق قسطندي جرجورة، كان مثل الكثيرين من ابناء شعبه من المشاركين في الإضراب العام ودفع ثمن موقفه بفصله من عمله. ومع ذلك بقي هذا اليوم بالنسبة له مصدر فخر وإعتزاز، وبقي حتى يومه الاخير متمسكًا بصواب القرار الذي اتخذه مؤمنًا أن الانحياز لقضية شعبه كان الخيار الصحيح الذي لا يندم عليه، لأن ما يُنتزع بالنضال الجماعي لا يخدم فردًا بعينه فقط بل يفتح افقًا لكل أبناء شعبنا.

لقد أثبتت أحداث يوم الأرض أن أحداثه لم تكن عبثية، بل كان لها أثر ملموس ونتائج حقيقية تجسدت لاحقًا في استراجاع اراضي المل بعد نضال طويل متواصل رغم الثمن الذي دفعته جماهيرنا باستشهاد الشهداء الستة، هذه التجربة تؤكد أن الإرادة الشعبية المنظمة بالطريقة النضالية الشعبية المناسبة لظروفنا قادرة على إحداث تغيير فعلي، وأن الحقوق التي تُسلب يمكن إسترجاعها حين تتوفر الإرادة الجماهيرية إستمرار النضال بنفس طويل وثبات.

كان لي الشرف هذا العام أن أكون أكون جزءًا من مشروع هام من مبادرة الجبهة والحزب والشبيبة بهدف توثيق وأرشفة أحداث يوم الأرض وإحيائها عبر السنين على شرف الذكرى الخمسين. كانت رحلة في الذاكرة الجماعية لشعبنا، أعادت ربطنا بتفاصيل لم نعشها، بالأسماء، وباللحظات التي صنعت هذا الحدث التاريخي. ومن خلال هذا العمل، تعمّق الإدراك بأن يوم الأرض ليس فقط ذكرى نحييها، بل هو تاريخ حيّ يتجدد، ومسؤولية مستمرة في نقل الرواية، وصون الذاكرة، وترسيخها في وعي الأجيال القادمة.

إن يوم الأرض يقدم لنا درسًا عميقًا في التنظيم والاستمرارية. فما جرى لم يكن وليد لحظة عفوية، بل نتيجة سيرورة نضالية طويلة بدأت مطلع العام ١٩٧٥ من خلال الإجتماعات الشعبية وتأسيس لجنة الدفاع عن الأراضي والتظاهرات وإرسال العرائض الإحتجاجية على المصادرة وصولًا لحظة الإضراب العام في الثلاثين من آذار ١٩٧٦. هذه التجربة التاريخية تؤكد أن النضال الفعّال لا يقوم على ردود فعل آنية، بل بناء حالة شعبية متراكمة، قائمة على التنظيم والتوعية والعمل الجماعي طويل النفس.

هذا هو الدرس الأهم الذي نحتاجه اليوم، خاصةً في النضال ضد العنف والجريمة، فالسلطات تحاول بإستمرار إطفاء الشعلة النضالية في مجتمعنا، وكسر الإرادة الجماعية وخاصةً بعد كل مظاهرة أو نشاط، حيث تتكرر الجرائم بشكل يزرع اليأس والإحباط، وكان هنالك رسالة يريدون أن ترسلها السلطة بنا لا جدوى من هذا النضال. لكن تجربة جماهير شعبنا النضالية وعلى رأسها يوم الأرض تقول العكس تمامًا، إن الاستمرارية والتنظيم بقيادة شجاعة ومسؤولة توجه الجماهير هي الطريق لإنتزاع الحقوق.

علينا أن ندرك أن العنف والجريمة في مجتمعنا ليست ظاهرة معزولة وقدرًا محتومًا، بل نتيجة مباشرة لسياسات ممنهجة مارستها وتمارسها حكومات اسرائيل عبر الإهمال والتقاعس ومحاولات تفكيك مجتمعنا، من هنا فإن مواجهة هذه الظاهرة هي معركة سياسية وإجتماعية تتطلب تنظيمًا جماعيًا ورؤية واضحة واستمرارًا في النضال.

في الذكرى الخمسين ليوم الأرض نحن لا نستحضر الماضي فقط، بل نستمد القوة والدروس نستذكر كيف استطاع شعبنا عبر وعيه ووحدته وتنظيمه، أن يصنع محطة تاريخية خالدة ونستذكر أن هذا النضال أثمر.

وكما شكّل يوم الأرض انتصارًا للإرادة الشعبية، فإنه يبقى أيضًا دعوة مفتوحة للاستمرار أن ننظم، وأن نواصل، وأن نؤمن بأن التغيير ليس حدثًا لحظيًا، بل ثمرة تراكم نضالي طويل تُصنع مراحله بالإصرار والعمل الجماعي.

# كيف كان يمكن لي أن أتعرف إلى أحداث «يوم الأرض»

أريئيل عمار

في سن الخامسة والعشرين اكتشفت للمرة الأولى حنظلة، الشخصية التي ابتدعها ناجي العلي. وبوصفي شخصًا نشأ وتعلّم في مدينة الخضيرة الطرفية، داخل جهاز التعليم اليهودي–الصهيوني، لم أسمع يومًا عن النكبة، ولا عن مدينتَي المجدل وبيسان، وبالتأكيد لا عن شارع الجبل في حيفا؛ بل نشأت على معرفة مدينتَي أشكلون وبيت شان وشارع «شدروت هتسيونوت». في جهاز التعليم الصهيوني تعلمت عن حروب إسرائيل، وعن الحركة الصهيونية، وعن الاستيطان وبناء الدولة، وعن «إزهار القفر» وعن أسطورة «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض». وتعلمنا عن أحداث تأسيسية، وعن أبطال قوميين، وعن نضالات أصبحت جزءًا من الذاكرة الجمعية، من دون أي تشكيك في صوابها. وفي هذا التعليم لم يكن الفلسطينيون موجودين أصلًا، بل كان هناك «عرب إسرائيل». ولم يكن هناك احتلال، بل كانت هناك «تحرير الأراضي»، وبالطبع لم تكن هناك الحكاية التأسيسية ليوم الأرض.

في رواية إميل حبيبي «الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشائل» يصف الكاتب موقفًا يعود فيه من لبنان («متسللًا»، كما علّموني في المدرسة) إلى حيفا، وحين يُقال له إنه أصبح الآن في «دولة إسرائيل»، يقتنع بأن اسم مدينته «حيفا» قد تغيّر إلى «دولة إسرائيل»، لأن كلمة «مدينا–دولة» تسمع مدينة بالعربية.

وحين قرأت الكتاب لأول مرة، عدت بخيالي إلى المدرسة وتساءلت: هل كانت لديّ يومًا فرصة لأن أتعرف إلى التاريخ الفلسطيني، إلى حكاية جيراني في وادي عارة؟ والجواب، حسنًا، بديهي: لم تكن هناك أي فرصة لأن أعرف شيئًا، ولو يسيرًا، عن كل ذلك. ففي جهاز التعليم الصهيوني لا مكان لكل هذه القضايا، وكل تعليم يروي القصة الفلسطينية ويتحدى السردية الصهيونية و«عدالة الطريق» الخاصة بالدولة اليهودية، تلك «الفيلا في الغابة» الأكثر أخلاقية في الكون. ومن أراد منا أن يعرف أكثر عن مصير المعلمين الذين تجرؤوا على رواية القصة الفلسطينية–حتى للفلسطينيين أنفسهم، فضلًا عن اليهود–فليعد إلى مذكرات المعلم نمر مرقس في كتابه «أقوى من النسيان / رسالة إلى ابنتي».

وهكذا، مثل «المتشائل»، ارتحلت إلى الجامعة، وهناك، في الدروس التمهيدية، انقلب عليّ كل ما كنت أعرفه فقد انكشفت أمامي حقيقة كاملة كانت محجوبة. وللمرة الأولى قرأت عن الفلسطينيين بوصفهم جماعةً قومية ذات تطلعات وطنية، وقرأت عن النكبة وعن دولتي باعتبارها صانعة لها، وتعلمت عن الاحتلال وعن المظالم التي تتحمل إسرائيل مسؤوليتها، وبالطبع تعرفت إلى يوم الأرض.

في البداية بدا لي أن الأمر يتعلق بحدث محلي أو هامشي. غير أنني، كلما ازددت قراءة، أدركت أن الحديث يدور عن أحد الأحداث التأسيسية في تاريخ الفلسطينيين مواطني إسرائيل. قرأت عن المصادرات، وعن المقاومة التي قادها الشيوعيون وفي مقدمتهم توفيق زياد، وعن ذلك الاجتماع الحاسم في شفاعمرو عام ١٩٧٦، وعن إصرار الحزب الشيوعي وثباته في مواجهة بعض رؤساء السلطات المحلية الذين خافوا من الإضراب بل وخرجوا ضده. وقرأت عن رد فعل الدولة، الذي شمل انتشارًا واسعًا لقوات الشرطة والجيش، وعن مأساة قتل ستة مواطنين فلسطينيين من دون أي ذنب اقترفوه.

وتعلمت عن نتائج «يوم الأرض» وعن الدور الجوهري الذي أدته عملية تسييس السكان الفلسطينيين في إسرائيل، وهي العملية التي قادها الحزب الشيوعي، بالانتقال من قيادة حمائلية محلية إلى سياسة واسعة وشعبية. كما تعرفت إلى «الكتاب الأسود» المهم، الذي يوثّق ويصف ما جرى اعتمادًا على المصادر الأولى لأولئك الذين كانوا في محيط الحدث نفسه.

إن مشروع نزع العرب من أراضيهم لم يبدأ في يوم الأرض، بل هو كامن في صميم المشروع الصهيوني. ومن هنا يبرز السؤال: لماذا كان إعلان دولة إسرائيل عن مصادرة آلاف الدونمات في منطقة الجليل، وهي أراضٍ بملكية فلسطينية، هو (البقية ص ٢٨)

# بين الأرض والسلطة المحلية: نصف قرن من الصراع... ومسؤولية القيادة

المحامي أمير بشارات

في ذكرى يوم الأرض، وبعد نحو نصف قرن على تلك اللحظة المفصلية، لا يمكن التعامل مع الأرض كقضية تاريخية فحسب، بل كواقع سياسي مستمر يتشكل يوميًا عبر السياسات والتخطيط وإدارة الحيّز.

لم يكن يوم الأرض مجرد احتجاج على مصادرة أراض، بل كان تعبيرًا عن وعي جماعي بأن الأرضَ هي جوهر العلاقة بين الدولة والمجتمع العربي، وأن هذه العلاقة لم تُبنَ على أساس من المساواة. هذا الوعي يمتد إلى ما قبل ١٩٧٦، إلى التحولات التي بدأت عام ١٩٤٨، حيث اقتُلعت مئات القرى، وصودرت الأراضي، ومُنع التطور الطبيعي للحيّز العربي الفلسطيني.

لم تكن هذه مجرد أحداث عابرة، بل مسار متكامل أعاد تشكيل المكان والإنسان. اقتلاع القرى، فرض الحكم العسكري، ومصادرة الأراضي لم تكن فقط نتائج نكبة، بل أدوات لإعادة رسم الخريطة ومنع الاستمرارية الجغرافية والتطور الطبيعي للبلدات العربية. هذا الواقع لم ينتهِ، بل أُعيد إنتاجه عبر سياسات تخطيط وتوزيع مواردٍ وتشريعات كرّست ما يمكن تسميته فصلًا تخطيطيًا عنصريًا في إدارة الحيّز.

في جوهر هذا الفصل تعمل منظومتان متوازيتان: منظومة تخطيط تُدار لصالح البلدات اليهودية، لا تكتفي بالمبادرة وفتح آفاق التوسع، بل ترتبط برؤية الدولة لهويتها كدولة يهودية، وبسياسات تهدف إلى تعزيز الحضور اليهودي في الحيّز، خصوصًا في الجليل والنقب. في هذه المنظومة، تكون الدولة مبادرة في التخطيط والتطوير وتسويق الأراضي، ليس فقط استجابة لحاجات سكانية، بل كجزء من سياسة ممنهجة لتعزيز «التهويد» وإعادة توزيع السكان والحيّز بما يتماشى مع هذه الرؤية.

في المقابل، تُفرض على البلدات العربية منظومة تخطيط تُدار تحت قيود دائمة، حيث يُقابل الطلب الطبيعي على السكن والنمو بتأخير مزمن في المصادقة على المخططات، أو تعطيلها، أو غياب فعلي للأدوات التخطيطية. لا توسعة حقيقية لمسطحات النفوذ، ولا استثمار كاف في البنى التحتية، ما يخلق حالة اختناق مستمرّة.

في المنظومة الأولى، الدولة هي المبادر والمخطِّط والمطوِّر ضمن رؤية استراتيجية بعيدة المدى. أما في المنظومة الثانية، فيُترك المجتمع العربي لمواجهة واقعه بأدوات محدودة: مبادرات محلية، موارد شحيحة، واعتماد شبه كامل على مؤسسات لا توفر الحد الأدنى من الاستجابة. وهكذا، لا يُدار الحيّز بشكل غير متساوٍ فحسب، بل تُعاد إنتاج الفجوة بشكل منهجي، بحيث يصبح التوسع مشروعًا لطرف، والاختناق واقعًا مفروضًا على طرف آخر.

وفي هذا الإطار، لا يظهر التمييز في التخطيط فقط كفجوة في الموارد، بل كآلية تُنتج واقعًا قسريًا يدفع المواطن العربي إلى الهامش القانوني. فحين تُمنع إمكانيات التخطيط، وتُغلق آفاق التطوير، ويستمر غياب الخرائط والمخططات، يصبح السكن تحديًا يوميًا. وهكذا، يتحول من يسعى لبناء بيت على أرضه الخاصة، في ظل انعدام البدائل، إلى «مخالف بناء» – لا نتيجة خرقٍ للقانون، بل نتيجة منظومة تخطيطية تُقصيه من حقه الطبيعي في السكن.

هذه ليست أزمة فردية، بل سياسة تُنتج واقعًا من الاختناق التخطيطي، وتحوّل الحق في السكن إلى معركة يومية.

لكن أخطر ما في هذه السياسات لم يكن فقط السيطرة على الأرض، بل محاولة إعادة تشكيل دور القيادة العربية نفسها. فقد سعت الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة إلى إضعاف رؤساء السلطات المحلية العربية واللجنة القطرية، عبر إلهاء القيادة في إدارة التفاصيل اليومية: تقديم الخدمات، وملاحقة الميزانيات، وتحويل الحقوق الأساسية إلى إنجازات. هكذا يُعاد تعريف الدور القيادي من فاعل سياسي إلى مدير أزمة دائم.

ورغم ذلك، لم تنجح هذه الاستراتيجية بالكامل. فمنذ تأسيس اللجنة القطرية عام ١٩٧٤، شكّلت السلطات المحلية إطارًا وحدويًا خاض نضالات سياسية وقانونية ومهنية، وربط بين المحلي والقطري، وبين المدني والسياسي.

أمام هذا الصمود، تطورت الأدوات. في السنوات الأخيرة، برزت ظاهرة تفشي الجريمة والعنف في المجتمع العربي كواقع يومي يهدد النسيج الاجتماعي ويستنزف الطاقات. ارتفاع معدلات الجريمة مقابل نسب شحيحة في كشفها يعكس واقعًا لا يمكن فصله عن سياق أوسع يضعف المجتمع ويحدّ من قدرته على التأثير.

حين تُستنزف السلطات المحلية في التعامل مع العنف، ويتحول الأمن الشخصي إلى الهم الأول للمواطن، تتراجع القدرة على التخطيط والتطوير. وهكذا، تتكامل الضغوط: تضييق على الأرض، اختناق في التخطيط، واستنزاف داخلي.

في قلب هذا الواقع، برزت السلطات المحلية العربية كلاعب مركزي، ليس فقط في إدارة الحياة اليومية، بل في إدارة معركة متعددة الأبعاد: على الأرض، وعلى التخطيط، وعلى الأمن والأمان. فهي خط الدفاع الأول عن حق الناس في السكن والتوسع والعيش بكرامة، وهي أيضًا من تتحمل تبعات الفشل التخطيطي وتداعياته الاجتماعية.

ورغم التحديات، بدأت السلطات المحلية تتحرك من موقع رد الفعل إلى محاولة التأثير: تطوير مناطق صناعية، بناء شراكات اقتصادية، وتعزيز أدوات التخطيط. هذه الجهود تعكس إدراكًا بأن المعركة ليست فقط على الأرض، بل على القدرة على إدارتها ضمن بيئة آمنة ومستقرة.

هنا يبرز دور اللجنة القطرية كإطار جامع قادر على نقل التحديات من مستوى محلي متفرق إلى مستوى جماعي منظم. فالقضية لم تعد قضية كل بلدة، بل قضية بنيوية تتطلب خطابًا موحدًا وقدرة على التأثير في السياسات.

ومن هنا، لا يمكن التعامل مع الجريمة والعنف كظاهرة منفصلة، بل كجزء من معركة الحقوق والمساواة المستمرة منذ النكبة وحتى اليوم.

بعد خمسين عامًا على يوم الأرض، لم تعد المعركة فقط على الأرض كملكية، بل على الأرض كحيّز للحياة. وفي هذا الحيّز تتقاطع كل المعارك: الأرض، التخطيط، الأمن، والكرامة.

في يوم الأرض، لا نستعيد الذاكرة فقط، بل نعيد تعريف المسؤولية. الأرض كانت دائمًا نقطة البداية –لكنها اليوم يجب أن تكون أيضًا نقطة التحول.

معرض يوم الأرض 2024، بتنظيم جبهة الناصرة والشبيبة الشيوعية والحزب الشيوعي

## كيف كان يمكن لي أن أتعرف..

(تتمة من ص٢٧)

ما أفضى إلى ما صار يُعرف بـ«أحداث يوم الأرض»؟ وقبل محاولة الإجابة عن ذلك، ينبغي لنا أن نستعرض معنى الأرض من زاوية ماركسية.

فمسألة الأرض ليست مجرد شأن رمزي أو قومي. الأرض هي أيضًا وسيلة إنتاج. والسيطرة على الأرض تعني السيطرة على الموارد، وعلى التنمية، وعلى الإمكانيات الاقتصادية لمجتمعٍ ما، وخصوصًا إذا كان مجتمعًا أصلانيا. وعندما تصادر دولةٌ أرضًا من مجموعة بعينها وتنقلها إلى استعمال آخر، فإن لذلك تبعات اقتصادية واجتماعية عميقة. وفي حالة

مصادرة الأراضي في الجليل في سبعينيات القرن الماضي، لم تُفهم هذه المصادرات بوصفها مساسًا بالهوية الوطنية الفلسطينية ومحاولة لطمسها فحسب، بل أيضًا بوصفها مساسًا بالقدرة على كسب الرزق، وبناء البلدات، وتطوير حياة اقتصادية مستقلة.

ومع ذلك، فإن التحليل الماركسي يسعى إلى النظر إلى ما وراء البعد القومي وحده، باتجاه التقسيم الطبقي. فالعمال، والمزارعون، والعاطلون عن العمل، وسكان الأطراف –من العرب واليهود على حد سواء –يعيشون واقعًا من اللامساواة الاقتصادية ومن التبعية لبنى القوة السياسية والاقتصادية. ولذلك فإن السؤال المركزي هو ما إذا كانت النضالات من أجل الحقوق يمكن أن تتحول أيضًا إلى قاعدة لتضامن طبقي أوسع. وفي التاريخ السياسي لإسرائيل، شدد الحزب الشيوعي، ومن بعده الجبهة، في يوم الأرض، على البعد الأممي في إقامة إطار سياسي مشترك لليهود والعرب. وقد أكدت هذه الأطر النضال المشترك ضد التمييز القومي والاستغلال الاقتصادي معًا.

ومن منظور الحزب الشيوعي، لم يكن يوم الأرض مجرد حدث احتجاجي قومي، بل كان أيضًا تعبيرًا عن مقاومة أوسع لسياسة اعتُبرت مضرة بالفقراء وعملًا جائرًا وظلمًا ينبغي لكل إنسان تقدمي ديمقراطي أن ينضم إلى مقاومته.

وبالعودة إلى السؤال: «لماذا كانت مصادرة الأراضي العربية في الجليل بالذات هي التي أفضت إلى أحداث يوم الأرض؟» فإن الجواب يكمن في تراكم عدد من العوامل التي ليس هذا موضع تفصيلها. ويهمنا هنا أن نشير إلى أن من بين هذه العوامل تعاقب الأجيال والقيادات، وتسلسل المصادرات الذي تحوّل إلى «قدر ضغط» لدى السكان الفلسطينيين، فضلًا عن كونِ الجليل منطقة مركزية من بين آخر المناطق التي كانت تنتج تواصلًا جغرافيًا عربيًا.

وبقيادة الحزب الشيوعي، أفضت هذه الظروف إلى خلق أشكال من التعاون غير المسبوقة في مشهد السياسة العربية. وردًا على تنظيم السكان العرب لأنفسهم، تصاعد النهج العنيف من جانب السلطات، وفي رد الفعل المقابل اشتد الاحتجاج العربي وتحول من احتجاج محلي إلى احتجاج قطري شامل. وفي نهاية المطاف، تجاوزت نتائج أحداث يوم الأرض حدود الإضراب والاحتجاج نفسيهما، وانطبعت في الذاكرة الجمعية بوصفها مسارًا أدى إلى انفجار بركان سياسي في وجه الظلم والقمع اللذين عانى منهما الفلسطينيون –وما زالوا يعانون منهما–حتى اليوم. ولا شك في أن «يوم الأرض» يرمز اليوم إلى حدث تاريخي تأسيسي في تاريخ الشعب الفلسطيني، وقد أعاد إلى الوعي الشعبي الفهم بأن الظلم ينبغي الإحتجاج عليه، وأن للاحتجاج قدرة على منع ظلم أكبر مما كان مخططا له. وفي جوهر الأمر، نجح الحزب الشيوعي وقيادته في تعزيز السكان الفلسطينيين بوصفهم قوة سياسية شعبية أكثر تنظيمًا وأشد تأثيرًا، لا يمكن تجاهلها كما كان يجري حتى ذلك الوقت.

إن الفجوة بين ما يُدرّس في المدارس وبين ما انكشف لي لاحقًا تبيّن إلى أي مدى تكون الذاكرة التاريخية نتاجًا لصراع سياسي. وحين ينشأ المرء داخل جهاز تعليمي معيّن، يسهل عليه أن يفترض أن الصورة المعروضة فيه هي الصورة الكاملة والصحيحة. ومن جهة أخرى، فإن الاكتشاف المتأخر لأحداث مثل يوم الأرض يمكن أن يكون أيضًا نقطة انطلاق لتعلّم جديد. وقد كان موقفي من إخفاء تاريخ جيراني حركةً مضادة تمثلت في رغبة في مزيد من الكشف. فأسئلة من قبيل: «ماذا أخفوا أيضًا؟» و«ما الذي لم يريدوا لي أن أعرفه؟» قادتني إلى بحث معمق وإلى اختيار الحزب الشيوعي والجبهة بيتًا سياسيًا.

وماذا عن التعليم؟ ما مُنع عني لن أمنعه عن أطفالي–فهم يعرفون حنظلة، ويعرفون عن النكبة، وسمعوا عن أحداث يوم الأرض. كما أن طلابي في المدرسة الثانوية يتعرضون هم أيضًا للتاريخ المسكوت عنه (والمُنكر)، وأنا أشجعهم على التساؤل، والنقد، والتشكيك، وألّا يتعاملوا مع أي مادة تعليمية بوصفها أمرًا مسلّمًا به. إن وعي الجمهور اليهودي بمظالم الماضي، إلى جانب تحمّل المسؤولية عما يُرتكب باسمنا، هو المفتاح لحياة أكثر عدلًا هنا، كما قال الشاعر محمود درويش: «على هذه الأرض ما يستحق الحياة».

ندوة تجمع فلسطينيي يوم الأرض بالأهل
في الضفة وغزة والشتات تحت عنوان:

# يوم الأرض 50

## في الوجدان الفلسطيني أينما حلّ!

الرفيق
**محمد بركة**
الرئيس السابق للجنة المتابعة
والقيادي في الحزب الشيوعي
والجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة

الرفيق الدكتور
**جهاد حمدان**
عضو المكتب السياسي
للحزب الشيوعي الأردني

الرفيق
**تيسير محيسن**
عضو مكتب سياسي في
حزب الشعب الفلسطيني - غزة

السيد
**صلاح الخواجا**
مساعد رئيس هيئة مقاومة الجدار
ومدير مديرية الوسط في هيئة مقاومة
الجدار.

الرفيقة
**نادرة أبو دبي - سعدي**
تدير الندوة, صحيفة الاتحاد

**الاحد** 29.03

**الساعة** 19:00

**عبر الزوم**
الرابط مرفق في النص

الجبهة

# الحزب الشيوعي من مأثرة البقاء، الى مسيرة الحقوق والصمود في الوطن

خليل اندراوس

يوم الارض لم يأت من فراغ، ولم يقرر دفاع عن الارض فحسب بل دفاعًا عن الوجود الفلسطيني على ارض فلسطين.

يوم الارض انتفاضة فلسطينية والتي حدثت في الثلاثين من شهر آذار عام ١٩٧٦م، هي انتفاضة شعب ضد سياسات اسرائيل الصهيونية العنصرية الشوفينية والتي سعت وتسعى الى محاصرة وتركيع الشعب الفلسطيني في اسرائيل لا بل وفي كل اماكن تواجد هذا الشعب المناضل والمكافح والصامد والذي لن يركع لا لقوة اسرائيل ولا لقوة الثالوث الدنس أي امريكا واسرائيل والسعودية الذي يحاول فرض ما يسمى صفقة القرن على الشعب الفلسطيني.

ففي يوم الارض انطلق شعبنا الفلسطيني كالمارد في انتفاضة تاريخية نستطيع ان نطلق عليها باسم «الانتفاضة الأم». لشعبنا الفلسطيني والمستمر في كفاحه ونضاله حتى تحقيق النصر واحقاق حقوقه القومية الانسانية من خلال اقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس وعودة اللاجئين الى ديارهم ووطنهم.

لقد اصبح يوم الارض مناسبة وطنية فلسطينية وأحد رموز وحدة الشعب العربي الفلسطيني في كل اماكن تواجده.

منذ قيام دولة اسرائيل، قامت المؤسسة الصهيونية الحاكمة بسن عشرات القوانين التي استولت بموجبها على ملايين الدونمات من أراضي الشعب الفلسطيني. ووضع حكام اسرائيل استراتيجية لتحقيق حلم القيادات الصهيونية والتي تهدف الى تهويد الجليل.

وفي سبعينات القرن الماضي بدأت السلطات الاسرائيلية تعد وتبرمج من أجل استكمال مشروع المصادرة الكبير في الجليل. ويكمن السبب المباشر لأحدث يوم الأرض قرار حكومة اسرائيل مصادرة نحو ٢٢ ألف دونم من أراضي القرى العربية في منطقة الجليل وذلك بتاريخ ٢٩ شباط ١٩٧٦. والهدف من هذا القرار تحقيق مشروع أسمته السلطات الصهيونية العنصرية الشوفينية الاسرائيلية «مشروع تطوير الجليل، ولكن الهدف من هذا المشروع كان وما يزال تغيير الوضع الديمغرافي في الجليل وفي نشرة وزارة الزراعة عام ١٩٧٥ جاء ما يلي: «.. إت هناك مشكلة خاصة في الجليل، هي أقلية السكان اليهود بالنسبة للأقليات غير اليهودية، والتي تؤلف ٧٠٪ من مجموع السكان».

بعد الكشف عن هذا المخطط الرسمي العنصري بدأ تحرك الشخصيات العربية المحلية بقيادة الحزب الشيوعي من أجل تشكيل هيئة تقود النضال دفاعا عن الأراضي. وبدأ العمل لتنظيم مؤتمر وطني كفاحي شعبي ضد مصادرة الأراضي. وهكذا عقد مؤتمر شعبي ضد مصادرة الأرض في الناصرة بتاريخ ١٩٧٥/٨/١٥ وفي هذا الاجتماع تم تأسيس لجنة الدفاع عن الأراضي التي ضمت القس شحادة شحادة من كفر ياسيف والدكتور أنيس كردوش من الناصرة والدكتور سليم مخولي – كفر ياسيف ومحمد داود رئيس مجلس أم الفحم، ويونس نصار رئيس مجلس طرعان المحلي، وجمال طربيه رئيس مجلس سخنين المحلي، وأسعد يوسف كنانة رئيس مجلس يافة الناصرة المحلي والمحامي حنا نقارة والكاتب الصحفي صليبا خميس.

وفي ذلك الاجتماع قدم طيب الذكر حنا نقارة بيانا موسعًا حول مشاريع المصادرة الجديدة للأرض موضحا أنها تستهدف ٣٠ ألف دونم من الجليل، منها حوالي ١٧ ألف دونم من الأراضي الزراعية التي يمتلك غالبيتها مزارعون عرب ومصادرة ١,٥ مليون دونم من أراضي النقب وألوف الدونمات الأخرى في المثلث.

وفي هذا الاجتماع التحضيري تم انتخاب لجنة ضمت قرابة ٤٠ شخصية لمتابعة العمل من أجل الإعداد لمؤتمر الدفاع عن الأراضي .

وقررت هذه اللجنة التحضيرية عقد المؤتمر القطري العربي- اليهودي للدفاع عن الأرض في الناصرة بتاريخ ١٨-١٠-١٩٧٥. وفي هذا الاجتماع تم انتخاب سكرتارية مصغرة لمتابعة التحضير للمؤتمر ضمت المحامي حنا نقارة، القس شحادة شحادة، المحامي محمد ميعاري، مسعد قسيس رئيس المجلس المحلي، يوسف خير رئيس مجلس البقيعة المحلي، الدكتور أنيس كردوش، الدكتور سليم منحولي، وصليبا خميس. وإقرار حكومة إسرائيل مشروع تهويد الجليل المذكور أعلاه قاد إلى إعلان الإضراب التاريخي في، ٣٠/ آذار عام ١٩٧٦.

ويستذكر السيد جمال طربيه أن المرحوم صليبا خميس هو الذي اقترح تسمية يوم الاضراب في ٣٠ / آذار بـ «يوم الأرض».

وبمحاولة لإفشال وإلغاء الإضراب سعت السلطات من خلال عقد اجتماع في شفاعمرو لرؤساء السلطات المحلية بهدف اتخاذ قرار بإلغاء الإضراب.

وفي هذا الاجتماع استطاع القائد المناضل توفيق زياد إفشال هذا المخطط بالتعاون مع بعض رؤساء سلطات محلية أيدت ودعمت الإضراب وهم جمال طربيه، محمود نعامة، حنا مويس، أحمد مصالحة، محمد زيدان، مسعد قسيس، محمد مصطفى محاميد، أسعد يوسف، يونس نصار وأمين عساقلة.

وفي هذا الاجتماع حاول بعض المعارضين الاعتداء على المناضل توفيق زياد . ووقف أبو الأمين وصاح: «الإضراب ليس قراركم بل هو قرار الشعب».

وخلال هذا الاجتماع، اندفع القس شحادة شحادة خارج مبنى بلدية شفاعمرو حيث عقد الاجتماع، حيث رفض أن يقبل فكرة أنه يجب على لجنة الدفاع عن الأرض قبول قرار لجنة رؤساء السلطات المحلية بدلاً من الإصغاء مباشرةً إلى الناس. وعبر الشعب عن إرادته عندما علم الشباب عن موقف رؤساء السلطات المحلية الذين كانوا ينتظرونه، بدأوا بإلقاء الحجارة على مبنى البلدية وبعد ختام اجتماع الرؤساء في شفاعمرو، اجتمعت لجنة الدفاع عن الأراضي وأصدرت بياناً أعلنت فيه «إن إضراب الجماهير العربية يوم ١٩٧٦/٣/٣٠، إحتجاجاً» على مصادرة الأراضي العربية في الجليل، والمناطق أخرى في البلاد سيجري في موعده المحدد».

وفي تلك الفترة قامت وسائل الإعلام الإسرائيلية الصهيونية بهجوم مركز على الحزب الشيوعي وعلى عضو الكنيست ورئيس بلدية الناصرة الشيوعي القائد توفيق زياد أبو الأمين.

وتلقى عدد من أعضاء اللجنة القطرية للدفاع عن الأراضي إشعارات بالحضور إلى مراكز الشرطة عشية يوم الإضراب كان بينهم القس شحادة شحادة وصليبا خميس والمحامي حبيب أبو حلو والمحامي محمد ميعاري.

في تلك الفترة كان الرفيق عمر سعدي يشغل منصب سكرتير منطقة الناصرة للشبيبة الشيوعية وكان يقوم بنشاط مثابر بين فروع الشبيبة ويحث الرفاق على التجند وتلبية نداء الإضراب في يوم الأرض.

واستشهد في يوم الارض ستة شهداء هم خير أحمد ياسين من عرابة، خديجة قاسم شواهنة من سخنين، محسن طه من كفركنا، رجا أبو ريا من سخنين، خضر خلايلة من سخنين، رأفت علي من مخيم نور شمس واستشهد في الطيبة.

وأذكر هنا بأنه في نفس يوم الأرض عام ١٩٧٦ أقام فرع الحزب الشيوعي في كييف عاصمة أوكرانيا اجتماعاً تضامنياً بحضور جمهور كبير من الطلاب العرب والروس وبتضامن وتنسيق مع الطلاب الفلسطينيين واذكر منهم الرفيق طلب عمر من الخليل وكاتب هذه السطور كان خطيب الاجتماع .

وبسبب المجزرة التي قامت بها حكومة اسرائيل في ذلك الوقت برئاسة رابين قدمت كتلة الحزب الشيوعي في الكنيست اقتراحا بنزع الثقة عن الحكومة «بسبب الاعتداءات الدامية على العرب في يوم الاضراب الشامل». وخلال جلسة التي عقدت بتاريخ ١٩٧٦/٣/٣١ صوت فقط النواب –الشيوعيون الاربعة من اجل نزع الثقة عن الحكومة مطالبينها بالإستقالة .

وما قاله ماير فلنر في اقتراح نزع الثقة « اننا نتهم الحكومة عن سابق تعمد وتخطيط قررت اللجوء الى جميع الوسائل وحتى الاكثر وحشية منها ولو ادى ذلك الى مجزرة تحل بالجماهير العربية، لافشال الاضراب الذي اعلن شرعًا من قبل الجماهير العربية سيدخل الثلاثون من آذار التاريخ كيوم اضراب عام ضد مصادرة الاراضي. ان رئيس الحكومة ووزيراه- وزير الأمن ووزير الشرطة- يتحملون مسؤولية قتل ستة مواطنين عرب لا ذنب لهم «. ومما قاله القائد توفيق طوبي في النقاش ان رئيس الحكومة ووزير الشرطة يتحملان مسئولية كبرى عن مستقبل العلاقات مع الجماهير العربية.

وشجب الهجوم البوليسي الدموي على المواطنين العرب. وفند إدعاء السلطة بان اعتداء الجنود والشرطة كان دفاعًا عن النفس.

وشجب العدوان الوقح على بيت النائب توفيق زياد والاعتداء على اهل بيته. وقال: أردتم جرّ توفيق زياد رئيس بلدية الناصرة والناصرة كلها الي استفزاز دموي.

الفضل لتوفيق زياد في فشل مخططكم تجاه الناصرة وسيأتي يوم عندما يفتح شعب اسرائيل عينيه، ليقول شكرا لتوفيق زياد وللحزب الشيوعي ولرفاقه اليهود والعرب لانهم حملوا راية النضال من اجل الحقوق العادلة للجماهير العربية.

اما القائد توفيق زياد فهتف « كفا قتلا « ... كفى مصادرة كفى تمييزا ... كفى تماديا في الاستهتار بهذا الشعب.

المجد لشهداء الكفاح من اجل الارض والحقوق المتساوية».

هذه الحقائق التاريخية تبرز الدور القيادي للحزب الشيوعي والقوى الوطنية في النضال والكفاح من اجل الدفاع عن الارض ووحدة الجماهير العربية الفلسطينية في ذلك الوقت بقيادة الحزب الشيوعي والقوى الوطنية، لم ترق للمؤسسات الصهيونية داخل اسرائيل وخارجها ولم ترق للدول الرجعية في عالمنا العربي. وهذا الموضوع بحاجة الى مقال ودراسة خاصة.

لقد اثبتت جماهير شعبنا في يوم الارض تمسكا بارضها ووطنها وطن الاباء والاجداد.

وسيبقى يوم الارض يوم الكفاح والصمود والتحدي حتى اقامة الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس وعودة اللاجئين.

بجانب النصب التذكاري للشهيد رأفت الزهيري: الطيبة تحيي ذكرى يوم الأرض الخالد

**يوم الأرض في قرانا الدرزية**

حاولت السلطات الإسرائيلية دق الأسافين بين أبناء الشعب الواحد حتى في يوم الأرض الخالد، حيث أجبرت بعض الرؤساء من أبناء الطائفة الدرزية على المشاركة باجتماع اللجنة القطرية للرؤساء العرب في شفاعمرو في 25.3 والذي كان الهدف منه إسقاط يوم الأرض لكنها لم تحسب حساب أن يمثل قرية المغار حينها نائب رئيس المجلس المحلي، الرفيق أمين عساقلة صاحب القدرات القتالية العالية والذي حمى بجسده الرفيق توفيق زياد حينما صرخ الشعب صاحب القرار والشعب قرر الإضراب.

عساقلة، جسد موقف لجنة المبادرة الدرزية التي دعت في آذار بقوة إلى الإضراب: ««لقد اشتهرت طائفتنا طوال تاريخها الناصع برفض الضيم وبمقاومة الظالمين من أي نوع وبالدفاع المجيد عن الحقوق والكرامة القومية واليومية من أبناء شعبها العربي يدا بيد متخطية حواجز التفرقة والترغيب والترهيب جميعها ونحن الآن عرب هذه البلاد جميعا نواجه أخطارا حقيقية محدقة بنا. الخطر على لقمة عيشنا والخطر على مستقبل أولادنا وذرارينا من بعدنا والخطر من اقتلاعنا من جذورنا الحقيقية ومثلنا يقول: ملا لا أرض له لا وطن له.

والوثيقة الارشيفية المرفقة تثبت نجاح الإضراب بقرانا الدرزية.

# يوم الأرض في قلنسوة... شهادة من الذاكرة

د. محمد جيوسي

قبل نحو أسبوعين من حلول يوم الأرض عام ١٩٧٦، كان المناخ السياسي في البلاد مشحونًا بالتوتر والغضب. فقد جاء قرار مصادرة مساحات واسعة من أراضي المثلث والجليل ليشعل موجة من السخط الشعبي في أوساط الجماهير العربية. ومع تصاعد الغضب، بدأت فروع الحزب في القرى العربية بالتحضير للإضراب العام الذي تقرر إعلانه احتجاجًا على تلك السياسة. وفي قلنسوة، كان نشاط فرع الحزب والشبيبة ملحوظًا في تلك الأيام، حيث تكثفت الاجتماعات والتحضيرات، وارتفعت وتيرة العمل التنظيمي لمواجهة القرار الجائر والدفاع عن الأرض.

لم يختلف يوم الأرض في قلنسوة عمّا شهدته سائر قرانا العربية. فقد واجه الأهالي بطش الشرطة وعنفها في محاولة لقمع الاحتجاجات وكسر إرادة الناس، لكن روح التحدي كانت أقوى من الخوف.

في تلك الفترة كنت طالبًا في المدرسة الثانوية في الطيرة. وعندما عدنا إلى المدرسة في اليوم التالي للأحداث، فوجئنا بأن عددًا من زملائنا قد اعتُقلوا، كما طالت الاعتقالات قيادة الحزب في منطقة المثلث. كان وقع الخبر ثقيلًا علينا، لكنه لم يُضعف عزيمتنا، بل زادنا إصرارًا على الاحتجاج ورفع الصوت. خرج طلاب المدرسة في تظاهرة حاشدة من ساحة المدرسة، من دون أن يعترض مديرها، الأستاذ المرحوم درويش الخطيب (أبو المأمون)، الذي تعامل بحكمة ومسؤولية مع تلك اللحظة الحساسة. وسرعان ما انضم إلى التظاهرة عدد كبير من أهالي البلدة، فتحولت المسيرة إلى تظاهرة جماهيرية جابت شوارع الطيرة متجهة نحو مبنى المجلس المحلي.

وخلال المسيرة حاول أحد أعوان رئيس المجلس الاعتداء على المتظاهرين واستفزازهم، إلا أن أحد الشباب الشجعان تصدّى له بحزم، ، الذي ترجل من سيارته ووقف في وجهه ومنعه من الاعتداء على المتظاهرين.

وعندما وصلت التظاهرة إلى مبنى المجلس المحلي، كانت قوات الشرطة وقيادتها متواجدة في المكان. وتعالت هتافات المتظاهرين: «لا دراسة ولا تدريس إلا بطلوع المحابيس». كان المطلب واضحًا وصريحًا: الإفراج الفوري عن المعتقلين.

طلب رئيس المجلس والشرطة أن يدخل وفد من المتظاهرين للتفاوض من أجل إنهاء التظاهرة، لكن موقف المتظاهرين كان حازمًا: لا عودة ولا إنهاء للتظاهرة قبل إطلاق سراح المعتقلين. وكان من بينهم رفاق الطيرة: الرفيق غازي شبيطة، والرفيق نسيم أبو خيط، والرفيق محمد عبد الكريم منصور. وتحت ضغط التظاهرة الجماهيرية تحقق هذا المطلب، وتم الإفراج عنهم.

غير أن الأحداث لم تتوقف عند ذلك. فبعد يومين فقط بدأت حملة اعتقالات في قلنسوة طالت عددًا من الرفاق، منهم الرفيق المرحوم عفيف زميرو (أبو فلسطين). إلا أن الشرطة لم تتمكن من اعتقال كاتب هذه السطور، ولا الرفيق المرحوم عبد الرحمن سلامة، ولا الرفيق المرحوم معين ناطور، ولا الرفيق نادي تايه.

اضطررنا إلى الاختباء في أماكن آمنة لبعض الوقت، إلى أن خفّت الملاحقات وانتهت المطاردة. لكن تلك الأيام بقيت محفورة في الذاكرة، لا باعتبارها مجرد أحداث عابرة، بل بوصفها فصلًا من فصول النضال الشعبي دفاعًا عن الأرض والكرامة والوجود.

لقد أصبح يوم الأرض منذ ذلك الحين علامة فارقة في تاريخ جماهيرنا العربية في هذه البلاد؛ يومًا تجلت فيه وحدة الناس وإصرارهم على الدفاع عن أرضهم وحقوقهم، ورسالة متجددة للأجيال بأن الأرض ليست مجرد تراب، بل هي هوية وذاكرة ومستقبل.

وفي كل عام، حين تعود ذكرى يوم الأرض، تعود معها تلك الصور والوجوه والهتافات، لتذكّرنا بأن ما تحقق كان ثمرة تضحيات وصمود، وأن الدفاع عن الأرض والحقوق مسؤولية لا تسقط بالتقادم.

# يافا كانت حاضرة في يوم الأرض... حين تكلمت الأرض بلسان أهلها

عمر زهدي السكسك

منذ عام ١٩٨٠، دأبت مؤسسة الرابطة لرعاية شؤون عرب يافا على إحياء ذكرى يوم الأرض الخالد، ليس كحدث عابر في الذاكرة، بل كعلامة فارقة في مسيرة الوعي والهوية والانتماء. هذا اليوم لم يكن مجرد تاريخ يُستذكر، بل لحظة انفجار للكرامة، حين قرر الإنسان أن يقول: «هنا نحن... وهذه أرضنا».

تعود جذور يوم الأرض إلى ٣٠ آذار ١٩٧٦، حين أعلنت السلطات الإسرائيلية عن خطط واسعة لمصادرة آلاف الدونمات من أراضي الفلسطينيين في الجليل والمثلث. لم تكن المصادرة مجرد إجراء عاديًا، بل مشروعًا ممنهجًا لإعادة تشكيل الجغرافيا والهوية، عبر ذرائع متعددة: «مناطق عسكرية»، «أراض بور»، أو «للمصلحة العامة». لكن الحقيقة التي أدركها الناس كانت أعمق من كل هذه المسميات–كانت معركة وجود.

في ذلك اليوم، خرج المواطنون العرب في الداخل في إضراب شامل ومظاهرات عارمة، في خطوة غير مسبوقة، حملت في طياتها تحديًا واضحًا للسياسات المفروضة. لم يكن الحراك منظمًا فقط، بل كان عفويًا أيضًا–صوت الأرض حين يُسلب، وصوت الناس حين تُكسر حدود الصمت.

ودفع هذا الصوت ثمنًا باهظًا. سقط ستة شهداء، وأصيب واعتُقل المئات. أسماء الشهداء لم تكن مجرد أرقام في سجل، بل تحولت إلى رموز حيّة، تروي قصة شعب تمسك بأرضه رغم القمع. كانت دماؤهم بمثابة إعلان بأن الأرض ليست مجرد ملكية، بل هوية وذاكرة ومستقبل.

ومنذ ذلك الحين، أصبح يوم الأرض مناسبة سنوية تتجدد فيها العهد والرسالة. لم يعد الحديث فقط عن الأراضي المصادرة، بل عن الحقوق، والمساواة، والاعتراف، والكرامة الإنسانية. في كل عام، تُرفع الأعلام، تُلقى الكلمات، وتُستعاد الروايات، لكن الأهم–تُستعاد الروح.

في الثمانينيات، وخاصة مع دخول مؤسسات أهلية مثل «الرابطة» على خط إحياء هذه الذكرى، بدأ يوم الأرض يأخذ بعدًا أعمق. لم يعد فقط يوم احتجاج، بل يوم تثقيف وتوعية، يوم يربط الأجيال الجديدة بتاريخها، كانت من أول النشاطات مخيم العمل التطوعي الذي أعاد الروح إلى المواطن اليافي وهو يحمل المكانس وينظف شوارع مدينته بعد إهمال وهدم دام سنوات طويلة هذا الحراك غرس فينا معنى الصمود. كانت الفعاليات تتنوع بين مسيرات، ندوات، نشاطات ثقافية، وزيارات للأراضي المهددة»كأنها محاولة دائمة لقول: «لن ننسى».

وما يميز تلك المرحلة، هو أن الإحياء لم يكن سهلًا. فقد جرى في ظل تضييق، ومراقبة، وأحيانًا منع. لكن الإصرار الشعبي كان أقوى. كان الناس يدركون أن المعركة ليست فقط على الأرض، بل على الوعي»وأن أخطر ما يمكن أن يُصادر هو الذاكرة.

اليوم، بعد عقود، لا يزال يوم الأرض حيًا. ربما تغيرت الأدوات، وربما تبدلت الظروف، لكن الرسالة بقيت ثابتة: الأرض ليست سلعة، والإنسان ليس عابرًا. هي علاقة وجود، لا تنفصل، ولا تُساوَم.

يوم الأرض ليس ذكرى حزن فقط، بل درس في الكرامة. هو تذكير بأن الشعوب التي تتمسك بحقها، حتى في أصعب الظروف، تكتب تاريخها بيدها. وأن الأرض، مهما صمتت طويلًا، لا بد أن تتكلم... حين يجد أبناؤها الشجاعة ليكونوا صوتها.

*رئيس مؤسسة الرابطة لرعاية شؤون عرب يافا

# الأرض

هادي زاهر

الأرض يا نبض الحياة وملجأ الجذور
إذا اشتكت، تدمع لها السماء
الأرض ليست حفنة من ثراء
بل أمنا التي إن جاع القلب، تغدق العطاء
وإن انحنيت يومًا تحت الهموم
تهبك من عزها الرفعة والكبرياء
هي حكايا الجد وأسرار الأب في الأزمان
هي العرض، هي البداية وخاتمة العهد والمكان
انهض، اترك بصمتك في الحياة وموقفًا
فأنت امتداد الضوء وسط ظلام
ازرع على جدران قلبك حلمًا بألا يطالك والطغيان
لا تبع الأرض لترف الأوهام
أو بريق السيارات
من باعها باع صوت أمه وشبح أبيه
باع الذاكرة والحكايات

***

مسقط الرأس ليس مكانًا للمرور أو محطة عبور
هو نبض روحنا.. إرثنا وحلم عصورنا التي لا تبور
نحن نخط التاريخ بدمائنا، ولا نحيد عن الطريق
مهما زادت الزوابع
لا نتناسى من بطش بأولادنا الطاهرين
وعمّد ترابنا بدمائهم في الأعين ساطع
نعلم أطفالنا حب الأرض التي حملتنا رغم القسوة والظلال
حتى إن انكسر العود يومًا، ننهض أقوى مواصلين النضال
لن تنطفئ القضية فينا ما دام فينا وهج الحياة وجمرة السؤال
نعرف أن الصمت لحظة قد يدفع الظالم ليتمادى
في الظلام والضلال
لن نغيب عن ذكريات من أضاءوا طريق النضال بشرارة الأمل
توفيق زيّاد.. قائد الكلمة الجريئة، شعلة الفجر
التي جعلت الألم مشعلًا وأجل
كان الحرف على لسانه رمحًا
يخترق جدار الخوف والمحال
ينادي بثورة الشعوب وكرامة الإنسان
عبر الأجيال
لا تخدعنا الكلمات المضللة
ولا تغيّر الأسماء الرمزية الخداعية
هديمكراتم أم المعراخ
فلا فرق في اللعبة السياسية الخفية
الفعل هو سيد المواقف
وأفعالهم شاهدة على المأساة اليومية
دم أولادنا أغلى من قطرات الماء الزكية
والاختيار واضح بين الظلم والنصر، بين ظلام الجهل
وأشعة النهار الواضحة جلية
إن اختيار مستثمري الحروب جنرالات للحكم
هو استمرار لهدم البيوت وسلب الأرض
ورفض حقوق القرى المغيبة
وصوت الحق وسط الجراح صار نداءً ومذهبة
نبحث عمّن يسير نحو النور حاملًا مصباح السلام
لا من يتجه نحو النيران نافخًا في الرماد.

طفلة تزرع زيتونة في رفح، جنوب قطاع غزة، 30 آذار 2023 (شينخوا)

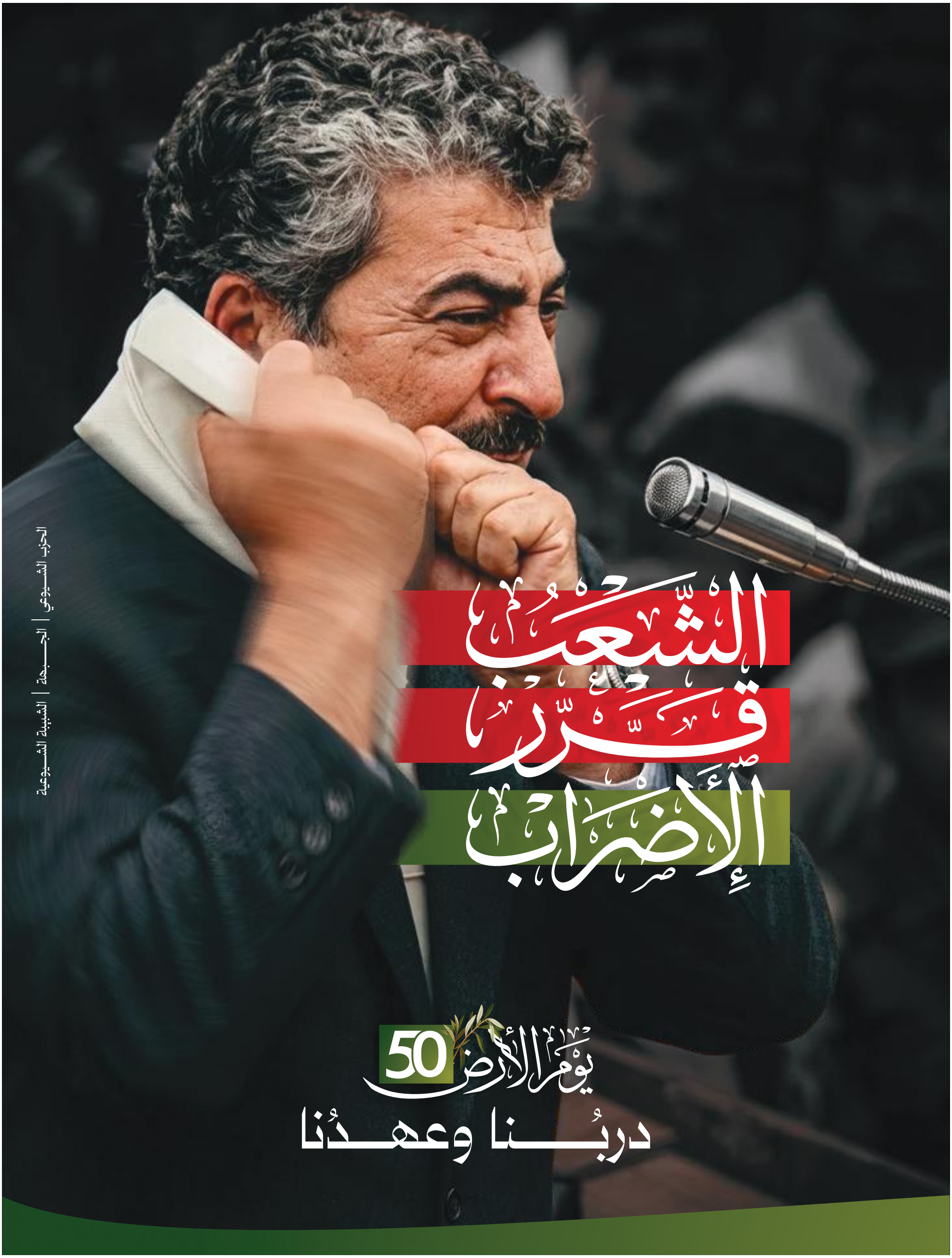
الحزب الشيوعي | الجبهة | الشبيبة الشيوعية
الشعب قرّر الإضراب
يوم الأرض 50
دربُنا وعهدُنا